المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان: دفع تهمة الصرفة عن ابن حزم

المصدر: مجلة الممارسات اللغوية

الناشر: جامعة مولود معمري تيزي وزو - مخبر الممارسات اللغوية

المؤلف الرئيسي: خاتي، كمال

المجلد/العدد: مج13, ع1

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2022

الشهر: مارس

الصفحات: 187 - 222

DOI: 10.35269/1452-013-001-012

رقم MD: 1271527

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

اللغة: Arabic

قواعد المعلومات: AraBase

مواضيع: التفسيرات القرآنية، الإعجاز القرآني، الإعجاز البلاغي، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت. 1064 م.

رابط: http://search.mandumah.com/Record/1271527

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

خاتي، كمال. (2022). دفع تهمة الصرفة عن ابن حزم.مجلة الممارسات اللغوية، مج13, ع1، 187 - 222. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1271527

إسلوب MLA

خاتي، كمال. "دفع تهمة الصرفة عن ابن حزم."مجلة الممارسات اللغويةمج13, ع1 (2022): 187 - 222. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1271527

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

دفع تهمة الصَّرفة عن ابن حزم

خاتي كمال *

جامعة الجزائر 01

chikhabdelghafour@gmail.com

الإرسال: 2021/03/03 **القبول:** 2021/09/28 **النشر:** 2022/03/30.

الملخص: هذا المقال يُبيّن خطأ ما نُسب للإمام ابن حزم من تبنّيه مقولة الصَّرْفة وجهًا لإعجاز القرآن الكريم. ومفادها أنّ إعجاز القرآن هو في صرف الله عز وجل العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن ، وذلك أنّ الذين نسبوا له ذلك من العلماء و الباحثين لم يفهموا أقواله في تحديد وجه إعجاز القرآن ، ولم يدقّقوا النظر فيها . إذ فهم بعضهم منها أنه يحصره في الصّرفة ، وينفي أن يكون نظم القرآن وبلاغته هو المعجز ، في حين وصفه آخرون بالاضطراب : تارة يعتدّ بإعجاز القرآن بنظمه وبلاغته ، وتارة يردّه ويرى أنّ المعجز هو صرف الله العربَ أن يأتوا بمثله وفي هدا البحث عرض لآراء هؤلاء العلماء و الباحثين ومناقشتها وفق ما تقتضيه الموضوعية و الأمانة العلميّة ، وبيان أهمية التأمّل في أقوال العلماء السابقين ـ لا سيما الجهابذة منهم ـ الذين ورَّثوا هذه الأمة تراثا عظيما من العلم ، والتريّث قبل تخطئتهم و وصفهم بالتناقض أو الاضطراب في أقوالهم ، أو غيرها من الأوصاف التي قد تُنقص من قدرهم و تزهِّد في علمهم .

الكلمات المفاتيح: القرآن ، الإعجاز ، الصّرفة ، النظم ، البلاغة ، ابن حزم .

Rejeting the accusation of saying the al-sarfa about Ibn Hazm

Abstract: This article highlights the voidness of what has been attributed to Imam Ibn Hazm, saying he has adopted the al-sarfa argument as an aspect

* **المؤلف المرسل**.

of the inimitability of the holy Quran. The argument suggests that the miracle of Quran was that God made it impossible for Arabs to produce another book similar to the Quran. Scholars and researchers who attributed that to him did not understand his arguments of identifying the aspect of the inimitability of Quran, and did not fully analyse them. Some of them understood that he limited it to al-sarfa and that he denies that inimitability manifests in the Quran's structure and eloquence. Others described him as disrupted: sometimes he says Quran's structure and eloquence is what makes it inimitable and in other times he thinks that inimitability is that Allah made it impossible for Arabs to produce a similar one.This research presents and discusses arguments of those scholars and researchers with a scientific

objectiveness and integrity. It also sheds light on the importance of reflecting upon the arguments of old scholars, mainly the great ones, who left to this nation a wealth of knowledge, and not rushing to faulting them and describing their arguments as controversial, disrupted, or other descriptions that may denigrate their status or belittle their knowledge.

Key words: Quran, Inimitability, Al-Sarfa, Structure, Eloquence, Ibn Hazm.

مقدّمة: الحمد لله مُنزلِ الكتاب شفاءً ورحمة للعالمين ، وحجّة على المكذّبين والمعاندين. والصلاة والسلام على نبيّه الكريم محمد ، خيرِ نبيٍّ أُرسل ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد: فقد وردت أقوال صريحة للإمام ابن حزم في إثبات إعجاز القرآن بنظمه وبلاغته وهو الوجه الذي ارتضاه جمهور العلماء والأدباء من المسلمين(1).

يقول ابن حزم رحمه الله:" قد ذكرنا قيام البرهان على أنّ القرآن معجز ، قد أعجز اللهُ عن مِثلِ نظمه جميعَ العرب وغيرهم من الإنس والجن بتعجيز رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كلَّ من ذكرنا عن أن يأتوا بمثله ، وتبكيتهم بذلك في محافلهم ، وهذا لا ينكره أحد مؤمن و لا كافر ، وأجمع المسلمون على ذلك "(2).

وفي معرض تقريره لهذا الوجه الرئيس من وجوه إعجاز القرآن يورد سؤالا فيقول : " ما

المعجز منه أَنظمه أم ما في نصّه من الإنذار بالغيوب . فقال بعض أهل الكلام : إنّ نظمه ليس معجزا إنما إعجازه ما فيه من الإخبار بالغيوب . وقال سائر أهل الإسلام : بل كلا الأمرين معجز ، نظمه و ما فيه من الإخبار بالغيوب ، وهذا هو الحق الذي ما خالفه فهو ضلال "(3). و لا زال العلماء يستحسنون وجوها أخرى لإعجاز القرآن ، و كلّ يُبدي بما يفتح الله عليه(4) . وبقي المسلمون منذ القرون الأولى يتذ وّقون حلاوة القرآن و ينهلون من بلاغته الرائقة في منأى عن الخلاف و المناوشات ، إلى أن جهر إبراهيم بن سيار المشهور بالنظام من المعتزلة بمقولة الصَّرفة ، التي تنصّ على أنّ الله صرف العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، و لولا هذا الصرف لكانوا قادرين على أن يأتوا بمثله(5) .

فانبرى العلماء للردّ على هذه المقولة ، وشنّعوا على أصحابها وأتباعها كونها تنافي إعجاز القرآن بنظمه وبلاغته(6). وقد اتُّهم بمقولة الصّرفة علماء أجلاء بسبب سوء فهمٍ لأقوالهم في إعجاز القرآن(7)، ومن هؤلاء الذين رُموا بالصرفة الإمام ابن حزم. فبالرغم من تصريحه في مواضع من كلامه عن الوجه الذي ارتضاه لإعجاز القرآن ، وهو نظمه وبلاعته ، إلاّ أنّه قد وردت جمل أخرى من كلامه أُشكلت على بعض العلماء والباحثين و أوهمتهم أنه ينفي ذلك الوجه ويُناقض نفسه ، و يقول بالصَّرْفة. ومن هذه الجمل قوله : " وقد ظنّ قوم أنّ عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن في أعلى طبقات البلاغة . وهذا خطأ شديد ، ولو كان ذلك — و قد أبى الله عز وجل أن يكون — لما كان حينئذ معجزة ، لأنّ هذه صفة كل باسق في طبقته ، والشيء الذي هو كذلك وإن كان قد سبق في وقت ما ، فلا يُؤمن أن يأتي في غدٍ ما يُقاربه ، بل ما يفوقه "(8)

ثم قال بعد ذلك مباشرة : " و لكن الإعجاز في ذلك إنما هو أنّ الله عز وجل حال بين العباد وبين أن يأتوا بمثله ورفع عنهم القوة جملة "(9) .

فالجملة الأولى اشتبهت على هؤلاء الباحثين(10) فظنّوا أنّ ابن حزم لا يعدّ البلاغة من وجوه إعجاز القرآن ، وفهموا من الجملة الثانية أنه يقول بالصّرفة .

فهذا البحث جاء لبيان خطأ ما تصوّره أولاء الباحثون ، وأنهم لم يفهموا مقصوده من أقواله التي ساقوها من كتبه لأسباب سيأتي ذكرها في المطلب الثالث .

أسباب اختيار البحث: هناك أسباب معينة جعلتني أختار هذا الموضوع ، و يمكن إجمالها فيما يأتي:

1- أهمية هذا الموضوع لاتصاله الوثيق بإعجاز القرآن بنظمه و بلاغته ، فالصّرفة التي قال بها النظام مضمونها مناف لهذا الوجه الرئيس من وجوه الإعجاز القرآني ، فجاء البحث مؤكِّدا لأقوال العلماء في التنفير من هذه المقولة ، وكما قيل:

فالضدُّ يُظهرُ حُسنَه الضدُّ ... وبضدّها تتبيَّنُ الأشياءُ

2- عدم وجود بحوث دقيقة في بيان موقف ابن حزم من مقولة الصّرفة ، وأنّ الذين ألصقوها به لم يأتوا بأدلة مقنعة ، بل إنّ أقوال هذا الإمام تشهد على عكس ما قالوه.

3- إنّ المتأمل في أقوال ابن حزم في ما يتعلق بنظم القرآن وبلاغته الفائقة لا يرتاب أبدا في نصرته لمذهب الجمهور القائلين بإعجاز القرآن بنظمه وبلاغته ، و نظرا لفقدان بحوث مستقلة تجلّي هذا الأمر ، وقع اختياري لهذا البحث الذي قد يساهم في ذلك .

أهداف البحث: يمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يأتي :

1- تبرئة ابن حزم -عالمٍ كبير من علماء المسلمين ، أفنى عمره في الذب عن كتاب الله و الردّ على شبهات الملحدين الطاعنين فيه- ممّا اتهم به من تبني مقولة الصرفة ، و هي فكرة دخيلة على المسلمين تخدش بإعجاز القرآن بنظمه وبيانه.

2- كما يهدف البحث إلى بيان خطورة الاستعجال في الحكم على مقالات العلماء قبل فهمها ، وأنّ بتر كلامهم أو تحريف معناه للوصول إلى نتائج مسبّقة ينافي قواعد البحث العلمي ، وينعكس سلبا على نتائج البحث ، وهذا ما وقع فعلا لبعض الباحثين حين أرادوا تحديد مذهب ابن حزم في ما يتعلق بوجه إعجاز القرآن كما سيتبيّن في هذا البحث ، وقد ينشأ الخطأ من عدم معرفة مناهج المتقدّمين من العلماء في معالجة مثل هذه المسائل(11).

أهمية البحث: موضوع هذا البحث له أهمية بالغة ، إذ فيه تأكيد لما نصّ عليه بعض العلماء والباحثين من براءة كثير من أعلام المسلمين من تهمة الصّرفة(12)، كون ابن حزم واحدا منهم.

كما أنّ في البحث تنبيها إلى أنّ موضوع الصّرفة من المواضيع الشائكة التي تحتاج إلى تأمّل وتفكير عميقين(13).

طرح إشكالية البحث: من خلال ما سبق يمكن طرح الأسئلة الآتية:

1 – بما أنّ أقوال ابن حزم نفسه هي الشاهد على مذهبه في وجه إعجاز القرآن ، و أنّ بعضها جاء صريحا في أنه كائن في نظمه وإخباره بالغيوب ، إذ قال :" وقال سائر أهل الإسلام : بل كلا الأمرين معجز ، نظمه وما فيه من الإخبار بالغيوب ، وهذا هو الحق الذي ما خالفه فهو ضلال "(14) . فهل يصحّ ما ادّعاه بعض العلماء والباحثين من أنه ينفي إعجاز القرآن بنظمه في مواضع أخرى من كلامه و يناقض نفسه بتقريره لمقولة الصَّرفة؟ . أم أنه يجمع بين الوجهين : إعجاز النظم ، و إعجاز الصَّرفة كما فعل الجاحظ(15) ؟ . أم أنّ المسألة مجرّد ظنون و دعاوى خالية من الدليل؟

2 – إذا ورد في كلام العلماء أنّ الله صرف العباد أو منعهم من الإتيان بمثل نظم القرآن أو بلاغته ،أو ألفاظ مرادفة للصّرفة ، فهل ينصرف كلامهم دائما إلى المعنى المرذول الذي جهر به النظّام ، أم هناك معاني أخرى للصَّرفة يطلقها العلماء ولا يريدون بها ذلك المعنى الذي يسلب القرآن خاصية الإعجاز بنظمه وبلاغته؟ .

3 – هل يوجد في كلام ابن حزم ما يشير إلى تبنّيه مقولة الصّرفة ؟ وما مدى صحة أقوال من رماه بها ؟ .

الدراسات السابقة: لم أقف على بحث أفرد موضوع دفع تهمة الصرفة عن ابن حزم بالدراسة ، إلاّ ما كان من مقال لا يتجاوز أربع صفحات للباحث: أبو محمد المصرى ، وهو بعنوان: " إعجاز القران عند الإمام ابن حزم وخطأ نسبة القول بالصرفة إليه " ، لكن الملاحظ في هذا المقال أنه لم يستوعب أقوال ابن حزم في المسالة ، ولم يفصّل في الردّ على الشبه التي أثارها من عزا الصّرفة إليه ، لكنه اكتفى في تبرئته من ذلك بذكر قولين له يفيد ظاهرهما أنه يثبت إعجاز القرآن بنظمه ، كما نبّه إلى أنه يوافق مذهب جمهور العلماء في إثبات إعجاز القرآن ببلاغته وذلك حينما صرّح بأنّ بلاغة القرآن ليست من نوع بلاغة العرب(16). وعلى كلّ حال يشكر الباحث على فضل السبق وإخلاصه لبيان الحق فيما يتعلق بهذه المسألة. و بالمقابل فإنّني وقفتُ على بحثين حاول صاحباهما إثبات هذه التهمة بشبه و آراء لا ترتقي إلى الدليل العلمي ، و لا تسلم من النقد ؛ أحدهما للدكتور محمد محمد أبي موسى ، إذ خصّص قرابة تسع صفحات من كتابه: (الإعجاز البلاغي) في الفصل الثامن الموسوم بـ(قصة الصرفة)، عرض فيها نصوصا لابن حزم فيما يتعلق بوجه إعجاز القرآن و ناقشها ليصل إلى رأيه السابق ، والثاني بحث مستلٌّ من رسالةلنيل درجة العالمية بالأزهر ، للدكتور أسامة المراكبي -عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر-وكانت بعنوان: " البحوث القرآنية في تراث ابن حزم جمع ودراسة ونقد " ويلاحظ في هذه الرسالة تطابق الأفكار مع ما كتبه الأستاذ أبو موسى ، وربما

زاد الدكتور أسامة شيئًا من الملاحظات والتدقيق ، و لهذا اعتمدت أساسا في عرض شبه من اتهم ابن حزم بمقولة الصّرفة على كتاب (الإعجاز البلاغي) للدكتور محمد أبي موسى .

المنهج المتّبع لإنجاز البحث : اقتضت طبيعة هذا الموضوع اتّباع منهج الاستقراء و التحليل والنقد ، وذلك بتتبّع أقوال ابن حزم فيما يتعلق بمذهبه في وجه إعجاز القرآن و الجمع بينها ، ثم توجيهها التوجيه الصحيح الذي يكشف عن هذا المذهب ، ثم عرض أقوال من وصفها بالمتناقضة أو المضطربة ، أو فهم من بعضها أنه يقول بالصّرفة ، ونقدها بما تقتضيه الموضوعية العلمية .

خطة البحث: تضمّن هذا البحث مقدمة ، وثلاثة مطالب ، وخاتمة :

مقدمة: ذكرتُ فيها أسباب اختيار البحث ، و أهدافه ، و أهميته ، ثم طرح إشكالية البحث ، وكذا الدراسات السابقة ، ثم المنهج المتّبع لإنجاز البحث

المطلب الأول : وجه إعجاز القرآن لدى ابن حزم

المطلب الثاني : اتّهام ابن حزم بالصَّرفة

المطلب الثاني : دفع تهمة الصّرفة عن ابن حزم

خاتمة : وفيها توصيات و خلاصة لنتائج البحث.

01: المطلب الأول : وجه إعجاز القرآن لدى ابن حزم:

1-1- التعريف بابن حزم: هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، من مشاهير العلماء بالأندلس ، ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (383هـ) ، رُزق ذكاءً مفرطا و تبحَّر في علوم كثيرة و برز فيها ، كالبلاغة والشعر والحديث والسّير والفقه والمنطق . زهد في الدنيا بعد الوزارة التي كانت له ولأبيه ، وتفرّغ لطلب العلم . كان أولا شافعيا ثم صار ظاهريا ينكر القياس في الفروع. سمع من شيوخ كُثر أعلاهم يحيى بن مسعود صاحبُ قاسم بن أصبغ ، و صاحَب الحافظ أبا عمر بن عبد البر النّميري. و كان سريع البديهة في نظم الشعر ، وله في ذلك قصائد رائقة .

وعِيبَ على ابن حزم شدّته في التشنيع على علماء عصره انتصارا لمذهبه ولذلك نبذه العلماء ، وأشدّهم عليه الإمام ابن العربي المالكي ، وحرق الناس كتبه ولم يبق منها إلاّ القليل ممّا دوّنه بعض تلامذته. وبالمقابل أنصفه كبار العلماء كالإمام أبي حامد الغزالي و عز الدين بن عبد السلام ، والحُميدي ، وشهدوا له بوفرة علمه وتفوّقه على أقرانه بالأندلس ، كما عدّد

الإمام شمس الدين الذهبي كثيرا من الخصال الحميدة التي تدل على ديانة ابن حزم وسعة علمه إلى جانب ما نُقم عليه من الأمور و المسائل التي شذّ بها عن إجماع الأئمة و العلماء نصرة لمذهبه ، وذكر طائفة لا بأس بها من كتبه من أشهرها كتاب : " المُحَلى في شرح المجلى بالحجج و الآثار " و " الإجماع " على أبواب الفقه ، و " الإحكام في أصول الأحكام" و " الفِصَل في الملل والأهواء والنّحل".

و لابن حزم دور كبير في إبطال عقائد اليهود والنصارى وبيان حال كتبهم من الأخطاء والتناقض ، وله في ذلك كتاب لم يُسبق إليه بعنوان:" إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ".

ومن شعره رحمه الله:

مُنايَ من الدنيا علومٌ أَبُثُّها و أَنشرُها في كلِّ بادٍ و حاضـــرِ

دُعاءٌ إلى القرآنِ والسُّنَنِ التي تناسى رجالٌ ذِكْرَها في المحاضرِ

و ألزَمُ أطرافَ الثغورِ مُجاهدًا إذا هَيْعَةٌ ثارتْ فأوّلُ نافِـرِ

توفي رحمه الله معزولا ببادية لَبْلَة سنة ست وخمسين وأربعمائة(456 هـ)(17)

2-1- وجه إعجاز القرآن لدى ابن حزم:

لقد صرّح ابن حزم عن مذهبه فيما يتعلق بوجه إعجاز القرآن ، إذ أورد سؤالا على طريقة الحوار فقال : " ما المعجز منه أَنظمُه أم ما في نصّه من الإخبار بالغيوب ؟ فقال بعض أهل الكلام : " إنّ نظمه ليس معجزا إنما إعجازه ما فيه من الإخبار بالغيوب.

وقال سائر أهل الإسلام : بل كلا الأمرين معجزٌ : نظمُه وما فيه من الإخبار بالغيوب. وهذا هو الحق الذي ما خالفه فهـــــو ضلال "(18).

فكلام ابن حزم هذا يدلّ بمنطوقه على أنّه يحصر وجه إعجاز القرآن في أمرين لا غير : نظمُه وما فيه من الإخبار بالغيوب. وأن ما سواهما فهو ضلال عنده.

ويؤكّد ابن حزم رحمه الله على إعجاز القرآن بنظمه فينص على انعقاد إجماع العلماء على الاعتداد به.

قال رحمه الله: " قد ذكرنا قيام البرهان على أنّ القرآن معجز ، قد أعجز اللهُ عن مِثلِ نظمه جميعَ العرب وغيرهم من الإنس والجن وأجمع المسلمون على ذلك "(19).

إلاّ أنّ ابن حزم رحمه الله يرى أنّ هذا النظم و هذه البلاغة لم يعهدها العرب في كلامهم قبل نزول القرآن ، قال : " لأنه ليس من كلام المخلوقين لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه ، وبرهان هذا أنّ إنسانا لو أَدْخلَ في رسالة لـــــه أو خطبة أو تأليف أو موعظة ، حروفَ الهجاء المُقطَّعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك ، فصحّ أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا "(20) .

كما أنّه نبّه إلى مقصوده من خروج نظم القرآن وبلاغته عن معهود العرب في كلامها بقوله : " وقد بيّنّا في غير هذا المكان أنّ القرآن ليس من نوع بلاغة الناس ؛ لأنّ فيه الأقسام التي في أوائل السور ، والحروف المقطّعة التي لا يعرف أحدٌ معناها. وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة "(21).

فابن حزم يشير إلى أمر مهمّ – غفل عنه أولئك الباحثون الذين وصفوا رأيه بالمضطرب أو أولئك الذين رموه بالصّرفة-و هو أنّ القرآن أتى بأشياء جديدة في نظمه و بلاغته لم يعدها العرب ، وأشار إلى مثالين على ذلك هما : القَسَم في أوائل سور القرآن ، و الحروف المقطّعة فيها أيضا

- فإذا أردنا شيئا من التفصيل في أقسام القرآن مثلا ، فإنّنا نجد أنّ العرب تستخدمه لغرض التوكيد(22)، فأجراه القرآن في أوائل السور على سياق الاستدلال والاحتجاج على أمور عظيمة ، كالاستدلال به على توحيد الله عز وجل ، و على صدق القرآن و نُبوّة من جاء به ، و على إثبات اليوم الآخر و ما يتصل به من الحساب و الجزاء(23) .

وقد نبّه الإمام ابن القيّم(ت:751هـ) رحمه الله إلى أسلوب القسم في الاستدلال على الأغراض السابقة في فاتحة سورة الضحى فقال: " ومن ذلك إِقْسامُه سبحانه بالضحى :﴿ **و الضحى. والليل إذا سجى** ﴾[الضحى:1-2](24) على إنعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإكرامه له ، وإعطائه ما يرضيه ، وذلك متضمِّنٌ لتصديقه له ، فهو يُقسم على صحة نبوّته ، وعلى جزائه في الآخرة ، فهو قسمٌ على النبوّة والمَعاد.

وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته و حكمته ورحمته ، وهما الليل والنهار .

فتأمّل مطابقة هذا القسم – وهو نور الضحى الذي يوافي بعد الظلام الليل – للمُقسَم عليه ؛ وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه ، حتى قال أعداؤه : " وَدَّعَ محمدًا ربُّهُ " . فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي و نوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه .

و أيضا فإنّ الذي فلق ظلمةَ الليل عن ضوء النهار، هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة ؛ فهذان للحس وهذان للعقل.

وأيضا فإنّ الذي اقتضت رحمتُه أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغيّ، بل يهديهم بنور الوحي و النبوة إلى مصالحهم في دنياهم وآخرتهم "(25).

فهذا الذي ذكره ابن حزم من أنّ القسم جاء في القرآن بما لم يعهده العرب في كلامهم صحيح إلى مدى عريض، ويتمثّل ذلك في أسلوب القسم في الاستدلال على تلك الأغراض العظيمة التي سبقت الإشارة إلى بعضها. إلاّ أنّ هذا الإطلاق غير سليم، فبالرغم من هذا الابتكار في أسلوب القسم إلاّ أنّ القرآن لم يُهمل معهود العرب منه، وهو إرادة التوكيد، فقد جاء لهذا الغرض إلى جانب الأغراض الأخرى(26).

فهذا الترقي في أسلوب القسم في نظم القرآن ممّا تسمح به لغتهم و يزيدها سُموًّا، لذلك لم يعترضوا عليه، ولم يقولوا :

لو جاءنا القسم في القرآن على ما عهدناه لجئنا بمثله. بل أذعنوا لذلك و بقوا مشدوهين عاجزين عن أن يأتوا بمثل .

-أمّا المثال الثاني الذي ذكره ابن حزم، و هو ما جاء في فواتح بعض السور من الحروف المقطّعة(27)، فليس في كلامه ما ينفي الإعجاز البلاغي للقرآن بهذه الحروف المقطّعة، بل كلامه يؤكّد ذلك، لكنّه يجعل السرّ في هذا الإعجاز هو أنّ العرب لم تعهد هذا الأسلوب من البلاغة، أي الاستفتاح بهذه الحروف المقطّعة في كلامها، و أنّ هذه الحروف المقطّعة لا يعرف أحد معناها .

فالاعتراض على مذهب ابن حزم إذن يكون في توجيهه لهذا النوع من الإعجاز البلاغي وليس في أنّه ينفيه ، لأنه أصلا يُثبته ويُفهَمُ ذلك ضمنا من كلامه السابق:" وقد بيّنا في غير هذا المكان أنّ القرآن ليس من نوع بلاغة الناس " . أي لا سبيل عنده للمقارنة بين بلاغة القرآن و بلاغة الناس ، ثمّ مثّل لهذا التباين بأسلوب القسم في القرآن وهذه الحروف المقطّعة . فقول ابن حزم

إنّ الحروف المقطّعة لا يعرف أحدٌ معناها، هذا أحد أقوال العلماء(28)، و ليس بالأمر المجمع عليه بينهم، فهناك أقوال أخرى مقابلة لهذا القول في بيان معناها ذكرها العلماء والمفسرون في كتبهم(29)، و لا يمكن الجزم ببطلانها كلّها ، ومن ألطف هذه الأقوال

وأحسنها من قال إنّ هذه الحروف المقطعة جاءت لتنبيه العرب إلى أنّ هذا القرآن مؤلّفٌ من حروف يعقلونها ويَبْنون عليها كلامهم ، ومع هذا فقد عجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله(30) . وأيًّا كان اجتهاد العلماء في تحديد معنى هذه الحروف ، وكذلك لو سلّمنا بأنّ هذه الحروف ممّا استأثر الله بعلمه كما اختاره ابن حزم - إلاّ أنّ الإطلاق الذي جاء في قوله:" وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة " غير صحيح . يدلّ على ذلك قول الإمام أبي بكر بن العربي(ت:543هـ) : " وقد تحصّل لي فيها عشرون قولا و أزيد ، ولا أعرف أحدا يحكم عليها بعلم ولا يصل إليها بفهم. والذي أقوله: إنه لولا أنّ العرب كانوا يعرفون أنّ لها مدلولاً متداولاً بينهم لكانوا أولَ من أنكر ذلك على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بل تلا عليهم : (حم . فصلت) و (ص) وغيرهما فلم ينكروا ذلك ، بل صرّحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوّفهم إلى عَثْرة وحرصهم على زلّة ، فدلّ على أنه كان أمرا معروفا بينهم لا إنكار فيه"(31) .

و ممّا يؤكّد القول بأنّ بلاغة القرآن في فواتح هذه الحروف ليست بخارجة عن معهود كلام العرب ما أشار إليه الزركشي من وجود تناسب بين السورة و بين هذه الحروف التي تصدّرتْها ، فقد اجتهد في استخراج هذه المناسبات في كتابه البرهان ، فكان من أمثلة ما ذكر ، ما جاء في فاتحة سورة(ق) ، فإنّ افتتاحها بحرف القاف ، ينبّه إلى ما تكرّر فيها من كلمات تضمّنت هذا الحرف: " من ذكر القرآن ، ومن ذكر الخلق ، وتكرار القول و مراجعته مرارا ، والقرب من ابن آدم ، و تلقّي المَلَكيْن ، و قول العتيد ، و ذكر الرقيب ، و ذكر السائق ، و القرين ، والإلقاء في جهنم ، والتقدّم بالوعد ، و ذكر المتقين ، و ذكر القلب ، والقَرْن ، و التنقيب في البلاد ، و ذكر القتل مرتين ، و تشقّق الأرض ، وإلقاء الرواسي فيها ، و بُسُوق النّخل ، و الرزق ، و ذكر القوم ، و خوف الوعيد ، وغير ذلك. و سِرٌّ آخر و هو أنّ كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدّة و الجهر

والقلقلة والانفتاح"(32).

- و في مناسبة افتتاح سورة ص بهذا الحرف ينبّه رحمه الله إلى اشتمالها على خصومات متعدّدة ، قال : " فأوّلها خصومة الكفار مع النبي صلى الله عليه و سلم ، وقولهم:﴿ **أجعل الآلهة إلها واحدا** ﴾[ص:04] ، إلى آخر كلامهم. ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم ، و هو الدّرجات و الكفارات ، ثم تخاصم إبليس و اعتراضه على ربّه و أمره بالسجود ، ثم اختصامه ثانيا في شأن بنيه و حَلِفِه لَيَغْوِينَّهم أجمعين إلاّ أهل الإخلاص"(33).

- فالزركشي يؤكّد أنّ احتصاص كل سورة بما بُدئت به من هذه الحروف المقطعة دلالة على وجود تناسب بين السورة و هذه الحروف ، فلم تكن لترد (الم) في موضع (الر) ، ولا (حم) في موضع (طس) ، ولا (ق) في موضع (ص)(34) .

فإن قيل : يوجد بعض السور افتتحت بحروف مشتركة ك (الم) فأين الفرق ؟ . يجيب الزركشي عن هذه الشبهة فيقول :" قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ثم يُميَّز بعد ذلك بصفة وقعت ، كما يقال: زيد و زيد ، ثم يُميَّزان بأن يقال : زيدٌ الفقيه ، و زيد النحويّ ، فكذلك إذا قرأ القارئ:﴿ **ألم. ذلك الكتاب** ﴾[البقرة: 1 ، 2] فقد ميّزها عن﴿ **الم . الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم** ﴾[آل عمران: 1 ، 2]"(35).

- و معلوم أنّ العرب قد أوتوا فطنة وذكاء و هم أبناء لغتهم ، يتذوّقون بلاغتها و ينفرون من كل كلام غير فصيح و يذمّون قائله ، ولذلك كان الواحد منهم يشتغل بالقصيدة حولا ، ينقّحها حتى تعرض على بعض أسواق العرب في موسم الحج ، يحكم عليها كبار الشعراء والأدباء. فجاءهم القرآن ببراعةِ استهلالٍ(36) مبتكرة ، استهلال بأسلوب الاختزال بهذه الحروف المقطّعة ، فتعجّبوا منه لكنهم لم يعترضوا عليه بل صرّحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة كما نبّه إليه ابن العربي ضمن كلامه السابق .

02: المطلب الثاني : اتّهام ابن حزم بالصَّرفة:

2-1- معنى الصَّرفة :

أ-الصَّرفة لغة : الصَّرْفة مصدر للفعل (صَرَفَ) ، و يأتي بمعنى تحويل الشيء من جهة إلى جهة أخرى ، ومنه صرف الرياح من جهة إلى جهة ، ويأتي أيضا بمعنى الميل ، و التقلّب ، والحيلة(37) .

وكلّ هذه المعاني متقاربة وتدل على التحوّل من شيئ إلى آخر ، أو من هيئة إلى أخرى.

قال ابن فارس: " ومعنى الصَّرفُ عندنا أنه شيء صُرف إلى شيء ، كأنّ الدينار صرف إلى الدراهم ، أي صُرف إليها"(38) .

و الصَّرْفة بفتح الصاد وسكون الراء مصدر المرّة ، للإشارة إلى أنها صرفٌ خاص ، فصارت كالعَلَم بالغلبة(39).

ب -الصَّرفة اصطلاحا : ذكر حمزة العلوي(40) ثلاثة معاني للصَّرفة ، يمكن تلخيصها فيما يأتي(41):

1 – أنّ الله سلب دواعي العرب إلى معارضة القرآن ، مع أنّ دواعيهم في ذلك متوفّرة من تقريعهم بالعجز و أمرهم بالانقياد والخضوع للحق ومخالفة الهوى(42) .

2 – أنّ الله سلبهم العلوم التي لا بدّ منها للإتيان بما يُشاكل القرآن و يُقاربه(43) .

3 – أنّ الله منعهم بالإلجاء على جهة القسر وسلب القدرة عن المعارضة. وحاصل هذه المقولة: أنهم كانوا قادرين على معارضة القرآن والإتيان بمثله إلاّ أنّ الله منعهم عن ذلك قسرا وسلب منهم القدرة على ذلك(44).

وبهذا تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي للصرفة و المعنى الاصطلاحي ، فمنع العرب عن المعارضة سواء بسلب القدرة عن ذلك أو صرف الهمم أو الدواعي هو صرف لهم عن ذلك(45).

والفرق بين المعنى الأوّل و المعنى الأخير أنّ الأوّل ينصّ على أنّ الله عز وجل صرف دواعي العرب أو تفكيرهم عن معارضة القرآن ، ولو لم يصرفهم عن ذلك لما كان بمقدورهم الإتيان بمثله ، وهذا هو مذهب الجاحظ ، بخلاف المعنى الأخير الذي ينصّ أنّ هذا الصرف كان قسرا ، وكان بمقدور العرب أن يأتوا بمثل نظم القرآن وبلاغته ، و هذا الذي ذهب إليه النظام شيخ الجاحظ ، فالجاحظ وإن قال بالصّرفة ، لكنه لم ينف إعجاز القرآن بنظمه وبلاغته خلافا للنظام (46). ولذلك انصبّت جهود العلماء على الردّ والتشنيع على النظام منذ قال مقولته هذه(47)

2-2- أقوال العلماء في بيان بطلان مقولة الصّرفة:

تنوّعت أقوال العلماء في بيان فساد الصّرفة بمعانيها الثلاثة ، لا سيما المعنى الذي قاله النظام ، و فيما يلي بعض هذه الأقوال:

1 - يرى الإمام الخطّابي (48) أنّ القول بالصّرفة بمعنى صرف الههم عن المعارضة و إن كان مقدورا عنها يتعارض مع قول الله تعالى:﴿ **قل لئن اجتمعت الانس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون به و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ [الإسراء: 88]، قال : " فأشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد ، وسبيله التأهب والاحتشاد ، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة ، فدلّ على أنّ المراد غيرها ، والله أعلم " (49) .

و معنى قول الخطابي: " والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة " هو ما عناه الإمام السيوطي تماما بقوله – وهو يبيّن فساد مقولة الصرفة- : " وهذا قول فاسد

بدليل: ﴿ **قل لئن اجتمعت الانس و الجنّ...** ﴾ ، الآية ، فإنه يدلّ على عجزهم مع بقاء قُدَرِهم ، ولو سُلبوا القدرة لم تَبْقَ فائدةٌ لاجتماعهم ، لمنزلته منزلةَ اجتماع الموتى ، وليس عجز الموتى ممّا يُحتفَل بذكره "(50).

2- يلزم من مقولة الصّرفة القول بأنّ العجز أو المنع من الإتيان بمثل القرآن هو المعجز و ليس القرآن ذاته.

يقول الإمام أبو بكر الباقلاني(51) : " لو كانت المعارضة ممكنة وإنما مَنَع منها الصّرفةُ ، لم يكن الكلام معجزا ، وإنما يكون المنعُ هو المعجزَ ، فلا يتضمّن الكلام فضيلة على غيره في نفسه" (52) .

وقال الإمام القرطبي(ت:671هـ) : " فلو قلنا إنّ المنع و الصَّرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزا ، و ذلك خلاف الإجماع ، وإذا كان كذلك عُلم أنّ نفس القرآن هو المعجز ، لأنّ فصاحته و بلاغته أمر خارق للعادة ، إذ لم يوجد قط كلام على هذا الوجه ، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفا معتادا منهم دلّ على أنّ المنع و الصّرفة لم يكن معجزا "(53) .

3- لو كان وجه إعجاز القرآن هو الصّرفة لما ظهر تعجب العرب من بلاغته ، و لكان العجب من غير ذلك(54). وقد وردت روايات صحيحة تدل على وقع القرآن وتأثيره العجيب في نفوس الخُلّص من العرب ، حتى أذعنوا واعترفوا بأنه ليس كلام بشر ، وهذا يخالف القول بالصّرفة .

ومن هذه الروايات ماجاء في صحيح مسلم عن أُنيْس أخي الصحابي الجليل أبي ذرّ الغفاري ، إذ قال لمّا سمع القرآن - و كان قبلُ مشركا -: " لقد سمعتُ قولَ الكهنة فما هو بقولهم. ولقد وضعتُ قوله على أقراء الشعر(55)، فما يَلتئمُ على لسان أحد بعدي أنه شعر . والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون"(56).

4- و ممّا يدل على بطلان الصّرفة ما نبّه إليه عبد القاهر الجرجاني(57) أنّ العرب لو كانوا سُلبوا منزلةً من الفصاحة قد كانوا عليها ، لتساءلوا عن سبب ذلك و لتذاكروه فيما بينهم ، أو لقالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم : قد سحرتنا ، فقد نسبوه إلى السحر في عدة أمور . لكن لم يحصل شيء من ذلك (58).

5- قال الزركشي: " يلزم من القول بالصّرفة فساد آخر ، هو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي ، وخُلُوّ القرآن من الإعجاز ، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة ، فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ، ولا معجزة له باقية سوى القرآن "(59).

6- القول بالصَّرفة يفتح مجالا للشكّ في مزية كلام الله عز و جل على كلام البشر ، إذ حاصلها أنّ كلام الله ككلام البشر إلاّ أنّ الله لعظيم قدرته قد صرف الناس عن معارضته(60) .

2-3- ذكر من عزا الصّرفة إلى ابن حزم:

وردت أقوال لبعض العلماء و الباحثين تعزو القول بالصّرفة صراحة إلى ابن حزم ، منها ما يجعلها الوجه الوحيد لديه لإعجاز القرآن و ينفي إعجازه بنظمه وبلاغته ، و منها ما يصفه بالمضطرب تارة يقول بإعجاز القرآن بنظمه وبلاغته ، وتارة يقول بالصّرفة . و يمكن إجمال أقوال هؤلاء العلماء والباحثين في قسمين :
- القسم الأول: أقوال تعزو الصّرفة إلى ابن حزم ، عارية من الدراسة العلمية ، ويتفاوت أصحابها كما يأتي:

1- منهم من اكتفى بمجرّد العزو إلى ابن حزم و الإحالة إلى كتابه الفِصَل : كما فعل الشيخ الطاهر بن عاشور تفسيره التحرير و التنوير ، إذ قال- و هو يذكر أسماء من نسب إليهم القول بالصّرفة:" و هو قول ابن حزم صرّح به في كتاب الفِصل ..."(61) .

وكذلك عزا الدكتور حسين نصار القول بالصّرفة إلى ابن حزم وجعلها الوجه الوحيد لديه ، ولم يأت بأدلة على ذلك ، و اكتفى في ذلك بقوله : " و تَكَشَّفَ أنّ عددا قليلا من المؤمنين بالصرفة جعلوها وجه الإعجاز الوحيد ، وهم ابن حزم و ابن سنان و الجُوَيْني(62). أمّا بقية المؤمنين بها فعدّوها واحدا من وجوه متعدّدة للإعجاز بلغت — عند الماوردي(63)-عشرين وجها. بل جمع أكثرهم بينها و بين النظم أو البلاغة ، و هما الوجهان اللذان اعتقد أكثر الناس-ولا يزالون يعتقدون -أنهما متضادان ، وأنّ القول بأحدهما ينفي الآخر"(64).

2- ومنهم من اكتفى بسرد أقوالٍ لابن حزم دون أن يُتبعها بأيّ تعليق أو نقد ، كما صنع الدكتور عمار بدوي ، إذ صنّف العلماء الذين نُسب إليهم القول بالصرفة إلى ستة أصناف ، عدّ ابن حزم في الصنف الأول منها ، و هو بعنوان : القائل بالصرفة في باب الإعجاز صراحة . ثم ساق أقوالاً لابن حزم ، مضمونها إمّا التصريح بأنّ الله منع الخلق من معارضة القرآن أو الإتيان بمثله ، أو أنّ بلاغة القرآن ليست من نوع بلاغة الناس . فلم يُبد الدكتور بدوي أيّ تعليق على هذه الأقوال ، ولم يبيّن نوع الصّرفة التي نسبها إلى ابن حزم ، لكنه قال: " وعلّق الرافعي على صرفة ابن حزم ، فقال: " ولم نر أحدا فسّر الصرفة كابن حزم"(65).

3 - ومن العلماء من لم يُجهد نفسه في البحث ، واكتفى في عزوه الصرفة إلى ابن حزم و نقده له من خلال نصّ واحد . نجد ذلك فيمن يأتي:

● مصطفى الصادق الرافعي: إذ يقول: " ولم نر أحدا فسّر هذه الكلمة(الصرفة) كابن حزم الظاهري ، فإنه قال في كتابه (الفِصَل) في سبب الإعجاز : " لم يقل أحدٌ إنّ كلام غير الله تعالى معجز ، لكن لمّا قاله الله تعالى و جعله كلاما له ، أصاره معجزا ومنع من مماثلته ... قال: وهذا برهان كافٍ لا يحتاج إلى غيره "(66) .

ثم ردّ الرافعي على هذا القول بأسلوب التهكّم ، فقال : " نقول: بل هو فوق الكفاية و أكثر من أن يكون كافيا أيضا ، لأنه لمّا قاله ابن حزم وجعله رأيا له ، أصاره كافيا لا يحتاج إلى غيره ! وهل يراد من إثبات الإعجاز للقرآن إلاّ إثبات أنه كلام الله تعالى ؟ (67) .

● الشيخ محمد أبو زهرة : استدلّ بكلام ابن حزم نفسه الذي احتج به الرافعي في نسبة الصرفة إليه ، ثم ربط قوله بالصرفة بأصل من أصول مذهبه ، المتمثل في نفي القياس و تعليل الأحكام بالعلل العقلية ، و يوضّح الشيخ أبو زهرة ذلك بقوله: " فالاتجاه إلى تعليل الاعجاز بأنّ السبب فيه بلاغته التي علت عن طاقة العرب ، والتي جعلتهم يخرّون صاغرين بين يديه من غير مراء و لا جدال يُعَدُّ تعليلا ، وهو من باب الرأي الذي ينفيه[يعني ابن حزم] ، والتعليل الذي يُجافيه "(68).

القسم الثاني: هذا القسم من الباحثين و الأدباء تتبّع أقوال ابن حزم ، و حاول من خلالها إثبات صحة نسبة القول بالصّرفة إليه ، بما ظهر لهم من لوازم هذه الأقوال . وقد وجدت في ذلك نموذجين هما : الدكتور الدكتور محمد محمد أبو موسى ، و الدكتور أسامة المراكبي

القرآن ليس من جهة بلاغته. فحاول الإجابة عن هذا الإشكال الذي أورده بما حاصله أنّ أسلوب الاستفتاح بالحروف المقطعة هو من قبيل التنبيه على السماع ، وقد كان معهودا لدى العرب لكن ليس بهذه الطريقة الخاصة التي جاء بها القرآن ، والتي لا يُستساغ الاقتباس منها ، أمّا ما عدا هذه الحروف فقد عدّ الدكتور اقتباس الكاتب جملة من القرآن وتهيئته مجراها في مجاري كلامه دليلا على اقتداره ، وحذقه في سياسة الكلام ، وليس كما عمّم ابن حزم فجعل ذلك أمرا خارجا عن البلاغة المعهودة قياسا على المثال الذي أورده في فواتح السور التي تضمّنت هذه الحروف(73). ج —

و هكذا يواصل الدكتور موسى في سرد ما ظنه أدلةً لابن حزم على مذهبه في إثبات الصّرفة وجها لإعجاز القرآن ونفي إعجازه بنظمه وبلاغته ، فذكر من هذه الأدلة ما خلاصته أنّ القرآن قصّ مقالات الأقوام و المحاورات التي جرت بينهم وبين أنبيائهم ، من مثل حكاية قول المشركين للنبيّ صلى الله عليه وسلم : ﴿**و قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض**

ينبوعا ، او تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾[الإسراء: 90-93] (74). فظنّ الدكتور أبو موسى أنّ ابن حزم لا يرى كون القرآن معجزا بنظمه و بلاغته بمثل هذا النص ، فقال : " ويذكر ابن حزم أنّ هذا كلام الناس صيّره الله كلامه ، وصار معجزا و منع الخلق عن مماثلته ، وقبل أن يجريه الله في كلامه لم يكن معجزا لأنه لم يقل أحد أنّ كلام البشر معجزٌ "(75)

وقد ردّ الدكتور قول ابن حزم هذا وبيّن أنّ حكاية الله لأقوال هؤلاء الأقوام إنما صار معجزا بلفظ القرآن ونظمه له وليس بلفظهم هم(76). ثم خلص إلى قوله : " هذا ما احتجّ به ابن حزم لنفي البلاغة الخارقة عن نظم القرآن ليُثبت القولَ الواهي المنافر ، وهو أنّ نظم القرآن معجز لأنّ الله منع الخلق عنه ، وقد ذكرنا أنّ المنع يخلع صفة الإعجاز عن النظم و ينقلها إلى المنع "(77). ح - كما صرّح الدكتور أبو موسى بأنّ ابن حزم سلك مسلكا غريبا في الردّ على مذهب الجمهور في إعجاز القرآن بنظمه و بلاغته ، و ذلك أنّهم ذكروا لبيان هذا الوجه بعض الآيات القرآنية فقط ، كقول الله تعالى: ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾[البقرة:179] ، وهذا يوهم بأنّ الحدّ المعجز من القرآن هو هذه الآيات التي ساقوها فقط. ثم شرع الدكتور أبو موسى كعادته في الردّ على ذلك المسلك ، وكان من ردّه قوله :" وإنما ساقوا ما ساقوا لأنه أظهر في الاستشهاد للمسألة التي هم بصددها ، و أيُّ خطأ وقع فيه من قال إنّ الإيجاز في القرآن وجه من وجوه بلاغته المعجزة ، وعرض هذه القضية بما توفر لديه من فهم لها ثم ذكر هذه الآية:﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾ ؟ **!**"(78) .

خ - و من الأدلة التي يسوقها ابن حزم لتقرير مذهبه في وجه إعجاز القرآن ، و ظنّ الدكتور أبو موسى أنه ينفي بها كون هذا الوجه بالنظم والبلاغة — قول الله عز و جل : ﴿ **و أوحينا إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و عيسى و أيوب و يونس و هارون و سليمان وآتينا داوود زبورا** ﴾[النساء:163] .

فقد فهم الدكتور أنّ ابن حزم لا يرى في نظم الآية إعجازا بلاغيا ، إنما هي سردٌ لأسماء ، وإنما الإعجاز عنده هو في منع الله الناس أن ياتوا مثله(79)

و لمّا تصوّر الدكتور أبو موسى ذلك ، ذهب كعادته يردّ على ابن حزم ، فنبّه إلى أنّ طبيعة المعنى في الآية السابقة لا يقتضي التفنّن في البلاغة على الحدّ الذي يظهر في مثل قوله تعالى: ﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءك** ﴾(80) ، فليست البلاغة في تكلّف البراعة و التفنّن فيما لا يقتضي الحال فيه ذلك. فنظم الكلام في الآية التي أوردها ابن حزم جاء على صورته العليا التي

لا يمكن أن يقع على صورة أفضل منها ، إلاّ أنّ تفاصيل ذلك يُطلب في علم التفسير الذي يقوم على الكشف والتنقير في أسرار هذا النظم ولطائفه(81).

د-و أيضا من الأقوال التي استند إليها الدكتور أبو موسى ، قول ابن حزم رحمه الله: " لو كان إعجازه لكونه في أعلى دُرَج البلاغة لكان لا حجّة فيه ، لأنّ هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة ، وأمّا آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود"(82).

وعلّق الدكتور أبو موسى على هذا الكلام بأنّ ابن حزم أخطأ في فهم مراد العلماء حين ذكروا أنّ إعجاز القرآن لكونه في أعلى طبقة من البلاغة ، إذ فهم من ذلك أنهم يجعلون بلاغة القرآن في أعلى طبقة المخلوقين ، ممّا يلزم منه التسوية بين كلام الله وبين كلام الجاحظ و شعر امرئ القيس وغيرهما ممّن كان كلامه في أعلى طبقة من البلاغة ، و بذلك لا يكون حجة ، لأنّ آيات الأنبياء خارقة ، خارجة عن المألوف(83). ثمّ ردّ الدكتور على هذا بقوله: " و مراد العلماء بأعلى طبقة أنه ما يفوت قدرات الخلق فَوْتًا يُبْهِر و يَقْهر و لا يلتبس "(84) . أي أنّ الشأن ليس ما فهمه ابن حزم من كلام جمهور العلماء ، فهم عنوا بأعلى طبقة أنّ بلاغة القرآن بلغت منزلة تنقطع دونها قدرات الناس ، و تبهر عقولهم إلى حدّ عجزوا عن الإتيان بشيء من مثله .

2- د.أسامة المراكبي(عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر) : يرى الأستاذ أسامة أنّ ابن حزم يرفض رفضا باتّا كون القرآن معجزا ببلاغته ، وقال:" وأنا لا أكاد أصدق أن يكون أديبٌ كابن حزم تمرس بالعربية لغة ونحوا وصرفا ، وخبر موازين الكلام نظما ونثرا . تخفى عليه بلاغة القرآن حتى ينكر أن يكون القرآن معجزة بلاغية أصلا! "(85) .

وقد خصّص الدكتور جزءا من رسالته في الدكتوراة الموسومة بـ "البحوث القرآنية في تراث ابن حزم جمع ودراسة ونقد " ، لبيان هذا الذي اعتقده في ابن حزم من القول بالصّرفة ونفي إعجاز القرآن ببلاغته(86).

إلاّ أنّ الملاحظ في هذه الدراسة أنها لا تخرج في الغالب عن الآراء والأدلة التي استند عليها الدكتور محمد أبو موسى في دراسته السابقة ، وربما خالفه في أمر واحد ، وهو أنّ سبب قول ابن حزم بالصّرفة هو سيره وفق أصل من أصول مذهبه ، المتمثل في إنكار القياس وتعليل الأحكام .

يقول الدكتور أسامة: " يرفض ابن حزم وهو الظاهري أن يعلل عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن بأي علة أخرى سوى أنهم قد عجزوا فاختار القول لذلك بالصرفة فهو الذي يفيد

ذلك ، فالقائلون بها لا يذكرون لعجز الناس سببا سوى أن الله أراد ذلك . وهذا ما يريده ابن حزم الظاهري الكاره لكل علة وتعليل لشيء من أفعال الله تعالى أو أحكامه . فهو الذي جاهد جهادا مريرا لنفي القياس والتعليل. فاختيار ابن حزم هنا متناسب تمام التناسب مع أصوله الفكرية العامة"(87).

فالدكتور أسامة على الخلاف من الدكتور محمد أبي موسى ، يرى أنّ ابن حزم لم يحتجّ على مذهبه في القول بالصرفة بأيّ حجّة سوى أنّ الله منع الناس من الإتيان بمثل القرآن .

يظهر ذلك في قوله : " وبعد هذا البيان لا نرى مقبولا أبدا قول د. محمد أبو موسى " واحتجاج ابن حزم كان متجها إلى توهين القول بتفوق القرآن في النظم والبلاغة وهذا شيء فريد في بابه"(88) .

03: المطلب الثالث : دفع تهمة الصّرفة عن ابن حزم:

إنّ كلّ ما سبق عرضه من الآراء و النقد من أولئك العلماء و الباحثين لا يعتبر حجة في تصنيف ابن حزم ضمن القائلين بالصَّرفة ، وبيان كما يأتي :

أ- إنّ أقوال ابن حزم التي يذكر فيها أنّ الله عز وجل منع الخلق من الإتيان بمثل القرآن لا ينبغي أن تُصرف إلى المعنى المرذول الذي ورد في معاني الصَّرفة الثلاثة التي سبقت في كلام حمزة العلوي ، فكلّ الأقوال التي نقلها هؤلاء الباحثون والعلماء عن ابن حزم لا نجد في أحد منها تصريحٌ بأنّ العرب كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن لكن الله صرفهم عن ذلك.

وقد جاءت أقوالٌ لعلماء آخرين عدا ابن حزم فيها ذكر للصّرفة ولم يريدوا بها المعاني السابقة ؛ من ذلك قول القاضي عبد الجبار المعتزلي(89): " واعلم أنّ الخلاف في هذا الباب أنّا نقول: إنّ دواعيهم قد انصرفت عن المعارضة لعلمهم بأنّها غير ممكنة على ما دلَّلنا عليه ، و لولا علمهم بذلك لم تكن لتُصرف دواعيهم ، لأنّا نجعل انصراف دواعيهم لمعرفتهم بأنها متعذّرة"(90) .

فالصّرف الذي قصده القاضي عبد الجبار في كلامه هو أنّ العرب هم الذين صرفوا أنفسهم عن معارضة القرآن لعلمهم ابتداءً بأنّهم عاجزون عن الإتيان بمثله ، لا أنهم كانوا قادرين على ذلك فصرفهم الله قسرا حتى لا تنتقض المعجزة القرآنية كما يقوله النظام و غيره(91) .

ثمّ إنّ هؤلاء الباحثين لم ينقلوا عن عالم واحد من العلماء السابقين الذين تكلّموا في الرجال وترجموا لهم - كالحافظ الذهبي في السِّيَر ، وابن كثير في البداية والنهاية — أنّ ابن حزم ، وهو من لا تخفى منزلته في العلم ، قال بالصّرفة. فلا ينبغي الاستعجال في تأويل أقوال

هؤلاء الكبار ، أو أن تكون لدينا حساسية مفرطة بمجرّد ألفاظ نجدها في كلامهم تتصل بمشتقات الصرفة أو المنع لنحملها على المعاني الاصطلاحية لمقولة الصّرفة (92).

ب-كما أنّ هذه الأقوال التي فيها التصريح بأنّ الله تعالى منع الخلق من أن يأتوا بمثل القرآن ، لا بدّ أن تفهم على وفق ما يقرّره ابن حزم من علوّ بلاغته وأنها ليست من نوع بلاغة القرآن ، لا أنه ينفي إعجازه بها كما ظنّه هؤلاء الباحثون والعلماء ، وذلك كقوله رحمه الله : " فصحّ أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا ، وأنه منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز و سلبه جميع الخلق"(93).

فكأنّ ابن حزم يريد أن يقرّر بقوله هذا حقيقة : أنه لا وجه للمقارنة بين بلاغة القرآن و بين بلاغة الناس(94).

فالذي ينبغي أن يَرِد سؤالا هو: ما الذي قصده ابن حزم بهذا المنع أو الصرف؟. وليس توجيه النظر ابتداءً إلى احتمال اعتقاده الصّرفة بمجرّد ورود هذه الألفاظ في كلامه (95).

لا يوجد في كلام ابن حزم أنّ العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فمنعهم الله من ذلك كما نُقل عن النظام ، كيف وهو القائل : " لو كان إعجازه لكونه في أعلى دُرَج البلاغة لكان لا حجّة فيه ، لأنّ هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة ، وأمّا آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود" . أي أنّ مجرّد قولنا : " إعجاز القرآن لكونه في أعلى دُرَج البلاغة " ؛ يلزم عنده التسوية بين بلاغة القرآن و بين بلاغة المخلوقين ، وهذا الذي فهمه الدكتور محمد أبو موسى نفسه ، فلا يجوز عند ابن حزم مقارنة بلاغة القرآن ببلاغة الخلق.

فالمنع أو الصّرف الذي قصده ابن حزم من مثل قوله :" وأنه منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز و سلبه جميع الخلق" . - هو المنع القدري ، أي أنّ الله عز وجل لم يكسُ هذه البلاغة الفائقة لكل تصوّر إلاّ القرآنَ دون أن يصرف دواعيهم إلى المعارضة ، و هذا المنع القدري يتوافق مع قوله تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الانس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون به و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾. فالله عز وجل قطع بأنهم لا يأتون بمثله(96) .

ت- و إذا كانت أقوال ابن حزم الصريحة في موافقته مذهب الجمهور في إعجاز القرآن بنظمه وبلاغته ، كقوله السابق: "قد ذكرنا قيام البرهان على أنّ القرآن معجز ، قد أعجز اللهُ عن مِثلِ نظمه جميعَ العرب وغيرهم من الإنس والجن بتعجيز رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كلَّ من ذكرنا عن أن يأتوا بمثله ، و تبكيتهم بذلك في محافلهم ، وهذا لا ينكره أحد مؤمن و لا كافر ، وأجمع المسلمون على ذلك "(97).

أقول[الباحث] : إذا كانت هذه الأقوال لا تُقنعُ هؤلاء الباحثين ، و أرادوا أدلة تشفع لهذه النصوص ، فقد استدلّ ابن حزم على مذهبه في علوّ بلاغة القرآن وأنها ليست من نوع بلاغة الخلق بما سبق ذكره من أسلوب القسم في القرآن و أسلوب الافتتاح بالحروف المقطّعة ، وكذلك قوله : " وقد رُوِينا عن أُنَيْس أخي أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنهما أنه سمع القرآن فقال : "لقد وضعتُ هذا الكلام على ألسنة البلغاء وألسنة الشعراء فلم أجده يوافق ذلك. أو كلاما هذا معناه. فصح بهذا ما قلناه من أنّ القرآن خارج عن نوع بلاغة المخلوقين "(98).

كما يدل على ذلك قوله — وهو يتحدّث عن علم البلاغة وما يتّصل بها من العلوم : " و لا بدّ لمن أراد علم البلاغة من أن يضرب في جميع العلوم التي قَدَّمنا قبل هذا بنصيب, وأكثر هذا القرآن و الحديث و الأخبار و كتب عمرو بن بحر ... "(99) .

ث- إنّ ما فهمه الدكتور محمد أبو موسى من أنّ ابن حزم يُرجع إعجاز القرآن بنظمه إلى مجرّد بلوغ القرآن مراد الله منه ، أي مجرّد إيصال المعاني ، و لا دخل للبلاغة عنده بهذا الإعجاز ، فهمٌ خاطئ . لأنّ بلوغ مراد الله من كلامه لا يقتصر على بلوغ المعاني ، بل يدخل فيه تحقيق مقاصد القرآن العامة ، وعلى رأسها بيان صدقه وأنه من عنده عز وجل ، و لا يكون ذلك إلاّ بظهور إعجازه الكائن أساسا في بلاغته كما هو مذهب جمهور العلماء ، و هذا كلّه لا يخالفه ابن حزم. ج-

أمّا استدلال ابن حزم على تعذّر الاقتباس من أسلوب القرآن في الاستفتاح بالحروف المقطعة في أوائل السور ، فغاية ما أراده هو الاستدلال على أنّ بلاغة القرآن ليست من نوع بلاغة الناس ، وليس أنه ينفي إعجازه بالبلاغة كما توهّمه الدكتور أبو موسى وراح يبيّن مسألة أخرى و هي جواز الاقتباس من القرآن وفوائد ذلك في تحسين الكلام ، و هذا واضح من قوله: " و برهان هذا أنّ إنسانا لو أدخل في رسالة له أو خطبة أو تأليف أو موعظة حروفَ الهجاء المقطّعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة بلا شك. فصحّ أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا"(100).

وهذا المثال الذي ضربه ابن حزم ينطبق على أسلوب القرآن كله ونظمه ، فلو أنّ إنسانا اقتبس أيّ جملة من القرآن و أدرجها في كلامه لتبيّن لكل من له ذوق بالبلاغة أنّ تلك الجملة ليست من كلام البشر .

ح- وكذلك ما يتعلق بمقالات الأقوام و ما قصّه القرآن من المحاورات التي جرت بينهم وبين أنبيائهم ، فإنّ ابن حزم لم يقل أبدا إنّ هذه المقالات بألفاظها التي تلفّظ بها أصحابها هي

المعجزة ، كما ألزمه بذلك الدكتور محمد أبو موسى ، لكنه صار معجزا لمّا حكاه الله عنهم بنظم القرآن ، و هذا واضح من قول ابن حزم: " إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام إنّ كلام غير الله معجز ، لكن لمّا قاله الله تعالى وجعله كلاما له أصاره معجزا ومنع من مماثلته "(101) .

فقوله : " لكن لمّا قاله الله تعالى وجعله كلاما له " واضح أنه تعالى جعله باللفظ العربي و النظم المعجز ، وإلاّ فإنه لا يخفى على أيّ أحد أنّ محاورات إبراهيم عليه السلام التي حكاها القرآن مع قومه مثلا لم تكن باللفظ العربي بل بالعبرانية ، وكذلك عيسى عليه السلام كانت لغة قومه السّريانية.

فهذا الذي ظنّه الدكتور أبو موسى من أنّ ابن حزم يستدلّ بمثل هذه المقالات التي قصّها القرآن على نفي كون القرآن معجزا بنظمه و بلاغته ، ينقلب عليه ويؤكّد خلاف ذلك.

خ- أمّا الآية التي ساقها ابن حزم: و فيها ذكر أسماء الأنبياء ، فإنّه أوردها على سبيل الجدل ليبرهن على صحة قوله أنّ بلاغة القرآن ليست من نوع بلاغة الناس ، فلا يجوز عنده جعل إعجاز القرآن ببلاغته في كونه في أعلى طبقات البلاغة ، لأنّ ذلك يوهم تسوية بلاغة القرآن ببلاغة البشر كما سبق ذكره. ولو أمعن الدكتور أبو موسى النظر في كلام ابن حزم لتبيّن له ذلك ، إذ قال رحمه الله: " ثم نقول لهم قول الله تعالى:﴿ **و أوحينا إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و عيسى و أيوب و يونس و هارون و سليمان وآتينا داوود زبورا** ﴾ ، أَمُعجِزٌ هو على شروطكم في كونه في أعلى دُرَج البلاغة ؟ فإن قالوا: ليس معجزا كفروا ، وإن قالوا إنه معجز صدقوا ، وسُئلوا هل هو على شروطهم في أعلى درج البلاغة ؟ فإن قالوا: نعم ، كابروا و كُفُوا مُؤْنتهم لأنها أسماء رجال فقط ليس على شروطهم في البلاغة"(102).

فجعل ابن حزم إنكار الإعجاز البلاغي لهذه الآية بحجة أنّ فيها مجرّد أسماء كفرا ، فكيف ينفي هو هذا الإعجاز ؟ **!** وبهذا يتّضح أنّ مراد ابن حزم من إيراد هذه الآية التي فيها أسماء رجال هو إلزام خصمه بأنّ مؤدى مذهبه سلب الإعجاز البلاغي عن هذه الآية ، لأنها عندهم مجرّد أسماء لا غير ، فلا يظهر على شروطهم هذه هذا الإعجاز ، أمّا هو فيرى أنها معجزة بالنظم القرآني الذي سيقت لأجله ، هذا النظم أو البلاغة التي يراها غير معهودة في كلام الناس ، أو بتعبير آخر: " منع الخلق من مثله " .

والحق إنّ الخلاف بين ابن حزم وبين جمهور العلماء ليس في إثبات إعجاز القرآن بنظمه وبلاغته كما ظنّ الدكتور أبو موسى ، و إنما هو في تعليل هذا الإعجاز فإنّ جمهور العلماء يرون أنه في كونه في أعلى طبقات البلاغة ولا يلزم من هذا التسوية بين بلاغة القرآن و بلاغة الناس

كما توهّمه ابن حزم ، و أمّا ابن حزم فإنه يرى أنّ هذا التوجيه غير صحيح ، و الصواب أنّ الله كسى القرآن هذه البلاغة ومنع الناس منها بقَدَرِه الكوني مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **قل لئن اجتمعت الانس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون به و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ ، وليس يعني هذا أنهم كانوا قادرين على الإتيان بمثله قبل هذا التحدي فمنعوا من ذلك بعد نزول آية التحذي كما يُفهم ذلك في مقولة الصّرفة.

ثامنا: قول الدكتور أبي موسى إنّ ابن حزم سلك مسلكا غريبا في ردّه على مذهب الجمهور في إعجاز القرآن بنظمه و بلاغته ، لمّا رأى بأنّ ما مثّلوا به من الآيات القرآنية للدلالة على هذا الإعجاز ، كقوله تعالى: ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾ ، يُوهم أنّ الحدّ المعجز من القرآن هو هذه الآيات التي ساقوها فقط. فهذا كذلك فهم خاطئ لأنّ ابن حزم لا ينفي صحّة قولهم بإعجاز القرآن بنظمه و بلاغته بردّه هذا ، وإنما هو جارٍ على عموم قاعدته في أنّ بلاغة القرآن ليست من نوع بلاغة الخلق ، فمزية النظم والبلاغة عنده مطّردة في آيّ القرآن كلّها ، و لا يجوز تخصيص آية دون أخرى

و خلاصة القول: إنّ توجيه الدكتور أبي موسى لصنيع جمهور العلماء بقوله :" وإنما ساقوا ما ساقوا لأنه أظهر في الاستشهاد للمسألة التي هم بصددها" توجيه صحيح لا غبار عليه ، ويبطل ما ألزمَ به ابنُ حزم الجمهورَ بأنّهم يحصرون الإعجاز البلاغي للقرآن في هذه الآيات دون غيرها ، لكن قوله: " إنّ ابن حزم سلك مسلكا غريبا في الردّ على مذهب الجمهور في إعجاز القرآن بنظمه و بلاغته" ، قول غير سليم ، لأنه يخالف صريح أقوال ابن حزم في أنّ القرآن معجز بنظمه وبلاغته.

د- و هكذا كان الدكتور أبو موسى مُوَفَّقًا في ردّه على قول ابن حزم " لو كان إعجازه لكونه في أعلى دُرَج البلاغة لكان لا حجّة فيه ، لأنّ هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة ، وأمّا آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود" . فابن حزم ظنّ أنّ اعتبار العلماء بلاغة القرآن في أعلى طبقة ، يعني جعله في أعلى طبقات البلاغة لدى الخلق ، يدل على ذلك قوله: " فلو كان إعجاز القرآن لأنه في أعلى دُرَج البلاغة لكان بمنزلة الحسن وسهل بن هارون والجاحظ وشعر امرئ القيس "(103) . ثمّ استعاذ بالله من هذا الكلام لما يلزم من هذا القول ؛ و هو أنّ كلّ من سبق في طبقته و فاق غيره لا يُؤمَن أن يأتي من يُماثله(104) ، وهذا لا يُقال في حقّه سبحانه وتعالى .

فنفى الدكتور أبو موسى أن يكون ذلك مراد العلماء أو أن يلزم من كلامهم ذلك الفساد ، وقال : " و مراد العلماء بأعلى طبقة أنه ما يفوت قدرات الخلق فَوْتًا يُبْهِر و يَقْهر و لا يلتبس

"(105). فاعتراض ابن حزم على الجمهور إنما هو في تعليلهم لهذا الإعجاز البلاغي ، وهو اعتراض غير مقبول كما بيّنه الدكتور أبو موسى ، أمّا من حيث الاعتداد بهذا الوجه من الإعجاز فإنّ ذلك واضح من أقواله الصريحة في موافقة مذهب الجمهور .

ذ- أمّا ما يتعلق بمسألة تعليل الأحكام و نفي ابن حزم للقياس التي أثارها بعض العلماء والباحثين ، كما سبق في كلام الشيخ أبي زهرة ، والدكتور أسامة المراكبي ، فلا دخل لها بمذهب ابن حزم في هذه المسألة ، لأنه يرى ابتداءً كون إعجاز القرآن بنظمه و بلاغته. فقول الشيخ أبي زهرة: " فالاتجاه إلى تعليل الاعجاز بأنّ السبب فيه بلاغته التي علت عن طاقة العرب ، والتي جعلتهم يخرّون صاغرين بين يديه من غير مراء و لا جدال يُعَدُّ تعليلا ، وهو من باب الرأي الذي ينفيه[يعني ابن حزم] ، والتعليل الذي يُجافيه"(106). قولٌ مجانبٌ للصواب ، لأنّ ابن حزم لا ينفي تعليل إعجاز القرآن ببلاغته و نظمه ، و إنما ينفي تعليل هذا الوجه من الإعجاز القرآني بكونه في أعلى دُرج البلاغة ، بحجة مفادها أنّ بلاغته ليست من نوع البلاغة المعهودة لدى الناس ، لأنّ معجزات الأنبياء لا بدّ أن تكون خارقة خارجة عن المعهود(107).

ر- و قول الدكتور أسامة إنّ ابن حزم لم يحتجّ على مذهبه في القول بالصرفة بأيّ حجّة سوى أنّ الله منع الناس من الإتيان بمثل القرآن ، قولٌ مردودٌ عليه (أي على الدكتور أسامة) ، بأنه لم يجد حجة في عزو الصّرفة إلى ابن حزم سوى عبارة : أنّ الله منع الناس من الإتيان بمثل القرآن. وإلاّ فابن حزم قد صرّح عن مذهبه في وجه إعجاز القرآن ، وهو كونه في نظمه و إخباره عن الغيوب ، إلاّ أنه علّل الإعجاز بنظمه في منع الله الناس من الإتيان بمثله ، وهذا المنع عنده هو منعٌ قدريّ كما سبق ذِكرُه ، و لم يرد به ابن حزم أنّ الله تعالى سلب القدرة من العرب عن الإتيان بمثله بعد أن كانوا قادرين على ذلك كما هو في مقولة الصرفة.

خاتمة:

النتائج و التوصيات:

أولاً- النتائج:

من خلال ما سبق من البحث يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

أ - إنّ ما نُسب إلى ابن حزم من القول بالصَّرفة لا يصحّ ، و سبب ذلك ناشئ من عدم فهم أسلوبه الكلامي في الحِجاج ، ذلك أنه حين بيّن رفضه لتعليل جمهور العلماء لإعجاز القرآن

بنظمه وبلاغته ، و أدلى بحججه على رأيه هذا ، فهم بعض الباحثين والعلماء من ذلك أنه يردّ عليهم احتجاجهم بهذا الوجه من الإعجاز. و كذلك التبس الأمر على بعض الباحثين ، بسبب بعض العبارات التي يُطلقها ابن حزم ففهموا منها أنه يتبنى مقولة الصّرفة ، فخالفوا في ذلك أقواله الصريحة التي تنفي ذلك .

ب- إنّ مذهب ابن حزم موافق لمذهب جمهور العلماء في كون إعجاز القرآن بنظمه و بلاغته ، إلاّ أنّ تعليله له بأنّ هذه البلاغة غير معهودة لدى العرب لا يُوافَق عليه ، لأنّ القرآن نزل بلسانهم ، و إنّ ما أورده من أسلوب الاستفتاح بالحروف المقطعة ، و أسلوب القسم ليس حجّة على رأيه ، لأنّ هذين الأسلوبين كانا معهودين عموما لدى العرب ، وإنّما جاءهم القرآن بطريقة خاصة في الاستفتاح و القسم ، تعجّبوا منها لكنهم لم يعترضوا عليها ، لأنها ممّا تجود به لغتهم و تتّسع له.

ت - الصّرفة بالمعنى الاصطلاحي لها ثلاث معانٍ نَصّ عليها العلماء هي : الأول - صرف همم العرب عن معارضة القرآن ، والثاني — سلب القدرة عن الإتيان بمثل القرآن بعد أن كانوا قادرين على ذلك ، والثالث- سلب العلوم التي لا بدّ منها للإتيان بمثل القرآن . وليس في كلام ابن حزم الذي استند إليه من عزا إليه الصّرفة شيءٌ يشير إلى من هذه المعاني ، ولذلك لم يبيّنوا أيّ معنى يقصده من تلك المعاني ، سوى أنهم التقطوا عبارات من كلامه تُوهم لديهم هذه المعاني ، كقوله في القرآن أنّ الله :" أصاره معجزا ومنع من مماثلته "، أو أنّ بلاغته ليست معهودة ، وغيرها من العبارات غير الصريحة في تبني مقولة الصّرفة.

ث- يجب التفريق بين المنع القدري الذي علّل به ابن حزم إعجاز القرآن بنظمه و بلاغته ، و بين المنع أو الصرف القسري الذي قاله أصحاب الصرفة وعلى رأسهم النظام . فالأوّل مقبول موافق لقوله تعالى: ﴿ **قل لئن اجتمعت الانس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون به و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ ، والثاني فاسد مردود ، لازمه نفي إعجاز القرآن بنظمه وبلاغته .

ثانيا-التوصيات:

يمكن أن نخرج من هذا البحث بوصيتين هما:

أ- لا بدّ من التثبّت و فهم أقوال العلماء لا سيما الجهابذة منهم قبل الحُكم عليها وإلزامهم بمذاهب لم يلتزموها ، و قد ظهر هذا في صنيع من سبق ذكرهم من الباحثين مع ابن حزم لمّا عزوا إليه مقولة الصّرفة. وقد وقع هذا لعلماء آخرين(108)، كابن القيّم لمّا نُسب إليه

خطأ كتاب بعنوان " الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن والبيان" ، وهو في الحقيقة كتاب:" مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن"، تبنّى فيه ابن النقيب(ت:698هـ) مقولة الصّرفة(109) وجها من وجوه إعجاز القرآن إضافة إلى إعجاز النظم والبلاغة. فابن القيّم معروفٌ مذهبُه في نفي المجاز ، وهذا الكتاب فيه إثبات له (110).

ب- قد يطلق العلماء ألفاظا يريدون بها معاني شرعية دقيقة ، لذا كان لزاما على الباحثين في العلوم الشرعية أن يتفهّموا مراد العلماء من هذه الإطلاقات ، و إلاّ أدّى ذلك إلى خطأ في نتائج بحوثهم ، وقد ظهر هذا مثالاً في إطلاق ابن حزم لفظ (المنع) على المنع القدري ، ففُهِم منه المعنى الاصطلاحي للصَّرْف .

ت-ينبغي على الباحثين و المفكرين التحلّي بالأمانة والدقة العلمية وعدم تحكيم أفكار مسبقة عند الشروع في بحوثهم ، فكون ابن حزم ظاهريًّا شذّ عن أئمة الإسلام في مسائل شرعية ، ليس مُبرّرا لعدم إنصافه و إلزامه بأمور لا تلزمه ، فما ألزمه خصمه من نفيه لإعجاز القرآن بنظمه وبلاغته وربطهم ذلك بمذهبه الظاهري في نفي القياس وتعليل الأحكام ، أمر غير سليم و بعيد عن الواقع ، فإنّ في أقواله ما هو صريح في بطلان هذه الدعوى ، وقد سبقت الإشارة إلى مثل ذلك مع القاضي عبد الجبار المعتزلي ، فإنه أطلق مصطلح الصّرفة على معنى خاص ولم يرد بها تلك المعاني الاصطلاحية للصّرفة ، وهو معنى مقبول لا محذور فيه شرعًا ، فلا ينبغي لنا أن نصنّفه ضمن القائلين بالصّرفة لكونه على مذهب الاعتزال بل إمامًا فيه .

مصادر البحث ومراجعه:

الكتب:

1-الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1411هـ/ 1990م ، ت: محيي الدين عبد الحميد.

2- الأطرش ، رضوان ، دراسة مقارنة لمسلكي النظّام و الجاحظ في مسألة الصّرفة ، مجلة جامعة الخليل للبحوث ، المجلد5 ، العدد1 ، الخليل ، فلسطين ، 2010م .

3-الباقلاني ، أبو بكر بن الطيّب ، إعجاز القرآن ، ت: أحمد صقر ، ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط4 ،[د.تا] .

4-البغدادي ، إسماعيل باشا ، هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار العارفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، [د ،تا]

5-البغدادي ، الخطيب ، تاريخ بغداد ، ت: د. بشار عوّاد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1422هـ / 2001م.

6- البغدادي عبد القاهر ، الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، مصر ، [د.تا] ، ت: محمد عثمان الخُشْت .

7-ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، دار العاصمة ، الرياض ، السعودية ، ط2 ، 1419 هـ / 1999م ، تحقيق: د. عليّ بن حسن بن ناصر و غيره .
8-الجاحظ ، أبو عثمان ، عمر بن بحر ، الحيوان ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط2 ، مصر ، 1386هـ/1967م ، ت: عبد السلام هارون.
9-ابن الجوزي أبو الفرج ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ت : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1412هـ / 1992م.
10- الحَجْوِي ، محمد بن الحسن ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، بالاشتراك بين : دار المعارف بالرباط ، ومطبعة البلدية بفاس ، المغرب الأقصى ، 1345 هـ.
11- ابن حزم ، أبو محمد علي الظاهري ، رسائل ابن حزم الأندلسي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 ، بيروت ، 1983م ، ت: د. إحسان عباس.
12- ابن حزم ، الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، [دتا].
13- الخالدي ، محسن سميح ، الصّرفة ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد الثاني عشر ، العدد الثاني ، نابلس-فلسطين ، يونيو ، 2004م .
14- الخالدي ، محسن سميح ، المتهمون بالصرفة ، مجلة جامعة النجاح ، نابلس ، فلسطين ،2010م ، العدد : 5.
15- الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد ،"بيان إعجاز القرآن " ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ت: محمد خلف الله ، و الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط3 ، القاهرة ، مصر ، 1976م.
16- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ت : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، [د.تا] .
17- الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1417هـ / 1997م ، ت: محب الدين العمروي.
18- الرافعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط9 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1393هـ - 1973م.
19- الرمّاني ، علي بن عيسى ، النّكت في إعجاز القرآن ، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ت: محمد خلف الله حمد و الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط3 ، القاهرة ، مصر ، 1976م.
20- الزركشي ، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر ، [د.تا] .
21- أبو زهرة محمد ، المعجزة الكبرى: القرآن ، دار الفكر العربي ،القاهرة ، مصر ، [دتا].
22- أبو زيد ، بكر بن عبد الله ، ابن قيّم الجوزية: حياته ، أثاره ، موارده ، دار العاصمة ، ط2 ، الرياض ، 1423هـ .
23- السمعاني ، الأنساب ، ت: عبد الله عمر بن عبد المحسن التركي ، دار الجنان ، ط1 ، بيروت ، 1408هـ / 1988م .
24- السيوطي ، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، السعودية ، 1426 هـ .

25- بنت الشاطئ ، د. عائشة ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1391هـ / 1971م .

26- الشريف ، د. محمد موسى ، إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي و العلماء دراسة نقدية ومقارنة ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، السعودية ، [د.تا].

27- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل و النِّحَل ، دار المعرفة ، بيروت ، ط3، 1414هـ/1993م ، ت: أمير علي مَهنا و علي حسن فاعور.

28- الشّهري ، د. عبد الرحمن بن معاضة ، القول بالصّرفة في القرآن الكريم: عرض ونقد ، دار ابن الجوزي ،ط1 ، الرياض ، 1432هـ .

29- الشوكاني محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، [د .تا] .

30- أبو صعيليك محمد عبد الله ، ابن حزم آراؤه في علوم القرآن والتفسير ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2002.

31- الضّبّي ، بُغية المُلتمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ط1 ، 1410هـ/ 1989م ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

32- ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984م .

33- عبد الجبار ، القاضي أبو الحسن بن أحمد ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، ، ت: أمين الخولي ، دار الكتب ، مصر ، [دتا].

34- ابن عطية ، أبو محمد الأندلسي ، المحرَّر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، ت:عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422هـ - 2001م .

35- العلوي ، يحيى بن حمزة ، الطِّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مطبعة المقتطف ، مصر ، 1332هـ/ 1914م.

36- ابن فارس أبو الحسين أحمد ، مقاييس اللغة ، ت: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، 1399 هـ / 1979م .

37- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، ت: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، ط5 ، بيروت ، 1423هـ / 2003م .

38- القزويني ، الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1434هـ - 2003م .

39- القطّان ، منّاع ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط11 ، 1421هـ/ 2000م.

40- القِفْطي جمال الدين بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط1 ، القاهرة ، 1406هـ / 1986م .

41- ابن قيّم الجوزية ، التبيان في أيمان القرآن ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي ، جدة السعودية ،[د.تا] ، ت: عبد الله بن سالم البَطَاطي.

42- ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل ، البداية والنهاية ، دار هاجر ، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، جيزة ، مصر ، ط1 ، 1417هـ/1917م.

43- محمد محمد أبو موسى ، الإعجاز البلاغي-دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط2 ، 1418هـ/1997م .

44- ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، [د.تا] .
45- نصّار ، د.حسين ، الصرفة والإنباء بالغيب ، مكتبة مصر ، الفجالة ، مصر ، [دتا] .
46- ابن النقيب ، مقدمة تفسير ان النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، [دتا] ، ص:(25-175) و (519-521) ، تحقيق: د. زكريا سعيد علي.
47- النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، الإمام ، مكتبة الصفا ، ط1 ، القاهرة ،1424هـ / 2003م.
48- النيسابوري مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، السعودية ، 1419هـ - 1998م .
49- ابن يعيش ، موفق الدين ، شرح المفصّل ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، [د.تا] ، تحقيق: جماعة من العلماء .

مواقع الشابكة:

50- بدوي ، عمار توفيق أحمد ، الصرفة والإعجاز القرآني ما لها وما عليها ، بحث للمؤلف على شكل (pdf): على الموقع: http://ammarbadawi.com/wpcontent/uploads/2017/11/49.pdf
51- سامي ، د. عطا حسن ، أسلوب القسم الظاهر في القرآن بلاغته وأغراضه ، جامعة آل البيت ، الأردن ، (pdf)على الموقع الإلكتروني: https://www.cia.gov/library
52- سامي ، د. عطا حسن ، الصّرفة: دلالتها لدى القائلين بها و ردود المعارضين لها ، ص: 124 ، pdf) (على الموقع الإلكتروني: https://ebook.univeyes.com/112039/pdf
53- المراكبي ، د.أسامة ، تحقيق مذهب ابن حزم في الإعجاز ، مقال على الموقع الإلكتروني(دون ترقيم الصفحات): https://vb.tafsir.net/forum/
54- المصرى ، أبو محمد ، " إعجاز القران عند الإمام ابن حزم وخطأ نسبة القول بالصرفة إليه " ، مقال على الموقع الإلكتروني: https://vb.tafsir.net/forum

مواقع الشابكة:

2- فراس محمد عودة: السبورة الذكية ، على الرّابط الآتي: http://www.qou.edu/newsletter/smartBoard.jsp

الهوامش والإحالات:

(1) ينظر: ابن عطية ، أبو محمد الأندلسي ،المحرَّر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ،ت:عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1422هـ - 2001م ، (52/1)، عائشة بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1391هـ - 1971م ، ص : 83 .
(2) ابن حزم ،أبو محمد علي الظاهري ،الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ،وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،[دتا] ،(3/ 10).
(3) المصدر نفسه(11/3).

(4) يقول الإمام ابن تيمية في ذلك : " وكلّ ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجّة على إعجازه ، ولا تناقض في ذلك ، بل كلّ قوم تنبّهوا لما تنبّهوا له " . ينظر : ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، ت: د. عليّ بن حسن بن ناصر و غيره ، دار العاصمة ، الرياض ، السعودية ، ط2 ، 1419هـ - 1999م ، تحقيق: د. عليّ بن حسن بن ناصر و غيره ، (429/5).

(5) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار المشهور بالنظّام ،البصري المعتزلي المتكلم ، انفرد بمسائل مخزية في القدر ، وذكر البغدادي أنه أنكر إعجاز القرآن بنظمه. وله تصانيف كثيرة منها: كتاب " الطفرة " وكتاب" النبوّة " . وهو شيخ الجاحظ . ذكر الحافظ الذهبي أنه توفي سنة بضع وعشرين ومائتين .

ينظر : الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ت: محب الدين العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1417هـ / 1997م ، (9/ 213 -214)، البغدادي عبد القاهر ، الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم ، ، ت: محمد عثمان الخُشْت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، مصر ، [د.تا] ، ص : 119 - 121.

(6) ينظر في ذلك : أبو زهرة محمد ، المعجزة الكبرى: القرآن ، دار الفكر العربي ،القاهرة ، مصر ، [دتا]، ص:78-81 ، بدوي ، عمار توفيق أحمد ، الصرفة والإعجاز القرآني ما لها وما عليها ، بحث للمؤلف على شكل :(pdf) على الموقع:

http://ammarbadawi.com/wp-content/uploads/2017/11/49.pdf ، ص :9 .

(7) عالج الباحث محسن الخالدي هذا الموضوع بدقة علمية ، و نفى تهمة الصّرفة بأدلة شافية عن علماء مبرزين منهم : فخر الدين الرازي(ت:606هـ) ، و ابن كثير(ت:774هـ)، و أبو عبد الله القرطبي(ت:671هـ)، و جلال الدين السيوطي(ت:911هـ) . لكنه لم يعرّج في بحثه هذا على ابن حزم ، ففاتنا حظّه من بحثه الرصين هذا . ينظر : الخالدي ، محسن ، المتهمون بالصرفة ، مجلة جامعة النجاح ، نابلس ، فلسطين ، 2010م ، العدد : 5 ، المجلد: 24 ، ص:1313 -1316 .

(8)، (9) ابن حزم ، أبو محمد علي الظاهري ، الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل ، (87/1).

(10) سيأتي تسمية بعض هؤلاء الباحثين و عرض أقوالهم ثم الرد عليها في المطلب الثاني .

(11) وذلك كأساليب الحجاج والطرق الكلامية التي يستخدمها الرازي في تفسيره ، وقد بيّن محسن الخالدي بيان هذه المسألة وهو ينفي تهمة الصرفة عن الإمام الرازي . ينظر : الخالدي ، محسن ، مرجع سابق ، ص: 1300-1306.

(12) ينظر في تحقيق هذه المسألة: الخالدي ، محسن ، مرجع سابق ، ص:1292-1316 ، بدوي ، عمار توفيق أحمد ، مرجع سابق ، ص: 68-70 .

(13) يُنظر ما كُتب في ذلك : بدوي ، عمار توفيق أحمد ، مرجع سابق ، ص : 09 -10 .

(14) سبق توثيقه في الحاشية(3) .

(15) نقل الدكتور حسين نصّار مذهبَ الجاحظ هذا عن بعض الأدباء والباحثين ، و ذكر تعليل بعضهم له و ردّهم على من وصف الجاحظ بالاضطراب والتناقض في الرأي. ينظر : نصّار ، د.حسين ، الصرفة والإنباء بالغيب ، مكتبة مصر ، الفجالة ، مصر ، [دتا] ، ص: 15- 16.

(16) ينظر: المصرى ، أبو محمد ، " إعجاز القران عند الإمام ابن حزم وخطأ نسبة القول بالصرفة إليه " ، مقال على الموقع الإلكتروني: https://vb.tafsir.net/forum

(17) ينظر : الذهبي شمس الدين ، مصدر سابق(13/540-554)، ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل ، البداية والنهاية ، دار هاجر ، ، جيزة ، مصر ، ط1 ، 1417هـ/1917م ، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، (15/796)، الضّبّي ، بُغية المُلتمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ط1 ، 1410هـ/ 1989م ، ت:

إبراهيم الأبياري ، (2/543-545)، الحَجْوِي محمد بن الحسن ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، بالاشتراك بين : دار المعارف بالرباط ، ومطبعة البلدية بفاس ، المغرب الأقصى ، 1345 هـ، (3/38) .

(18) ابن حزم ، مصدر سابق(3/11) .

(19) سبق توثيقه في الحاشية(2) .

(20) ابن حزم ، مصدر سابق(3/12).

(21) المصدر نفسه(1/87) .

(22) ينظر: السيوطي ، جلال الدين ، - السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، السعودية ، 1426 هـ، ص: 1945 ، ابن يعيش ، موفق الدين ، شرح المفصّل ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، ت: جماعة من العلماء ، (9/90)، ابن قيّم الجوزية ، التبيان في أيمان القرآن ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي ، جدة السعودية ،[د.تا] ، ت: عبد الله بن سالم البَطَاطي ، ص:5.

(23) ينظر أغراض أخرى إضافة لما سبق: سامي ، د. عطا حسن ، أسلوب القسم الظاهر في القرآن بلاغته وأغراضه ، جامعة آل البيت ، الأردن ، (pdf) على الموقع الإلكتروني : https://www.cia.gov/library ، ص: 32-34.

(24) المقصود جميع آيات سورة الضحى : 1-5.

(25) ابن القيّم ، مرجع سابق ، ص : 110 -111 ، وقد ساق الإمام السيوطي جزءا من كلام ابن القيم هذا في كتابه الإتقان مقرّرا لأغراض لأغراض القسم السابقة . ينظر : السيوطي ، مصدر سابق ، ص: 1952-1953 .

(26) ينظر: القطّان ، منّاع ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط11 ، 1421هـ/ 2000م ، ص:285 ، سامي ، د. عطا حسن ، مرجع سابق ، ص: 32.

(27) هي السور المفتتحة بحروف الهجاء نحو : الم ، المص ، كهيعص ، طه ، حم ، ق ، ن . وهي في تسع وعشرون سورة. جمعها بعضهم في قوله: " طرق سمعك النصيحه " . ينظر : الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر ، [د.تا] ، (1/167، 165).

(28) و يُؤثر هدا القول عن الشعبي ، و مال إليه الإمام السيوطي . ينظر : المصدر نفسه(1/173) ، السيوطي ، جلال الدين ، مصدر سابق ، ص: 1372.

(29) ذكر الزركشي أنّ هناك عشرين قولا للعلماء في معنى هذه الحروف ، منها ما هو قريب ومنها ما هو بعيد ، ثم سرد منها ثلاثة عشرة منها . ينظر : الزركشي ، بدر الدين ، مصدر سابق(1/173-177) .

(30) ينظر بتصرف: المصدر نفسه(1/175) ، السيوطي ، جلال الدين ، مصدر سابق ، ص: 1387 .

(31) السيوطي ، جلال الدين ، مصدر سابق ، ص: 1385 .

(32) الزركشي ، بدر الدين ، مصدر سابق(1/169) .

(33) المصدر نفسه(1/170) .

(34) يقول الخطيب القزويني(ت:739هـ) رحمه الله: " ينبغي للمتكلّم أن يتأنّق في ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذبَ لفظا ، وأحسنَ سبكا ، و أصحَّ معنى . الأول: الابتداء لأنه أول ما يقرع السمعَ ، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامعُ على الكلام فوعى جميعَه ، و إن كان بخلاف ذلك أعرض عنه و رفضه ، وإن كان في غاية الحسن . .. وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ، ويسمى براعة الاستهلال " .

و قريبا من كلام القزويني يعرّف السيوطي براعة الاستهلال بقوله: " و من الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمّى براعة الاستهلال : و هو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحالَ المتكلَّم فيه ، ويشير إلى ما سيق الكلامُ لأجله " .

ينظر: القزويني ، الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1434 هـ/ 2003م ،(2/439 ، 441) ، السيوطي ، مصدر سابق ، ص: 1830-1831.

(35) الزركشي ، مصدر سابق(1/175).

(36) ينظر تفصيل ذلك : الزركشي ، مصدر سابق(1/169-170).

(37) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، [د.تا] ، ص:2434 ، 2435.

(38) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، مقاييس اللغة ، ت: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، 1399 هـ / 1979م ،(3/343) . (39) ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984م ، (1/103).

(40) هو يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي. ولد بصنعاء سنة 669هـ، تبحّر في شتى الفنون واشتهر بكتابيه: " الطراز " و" الإيجاز " ، وكلاهما في البلاغة وإعجاز القرآن. وكان من كبار علماء الزيدية ، طاهر اللسان ، و كثير الذبّ عن أعراض الصحابة . مات في سنة خمس وسبعمائة (705 هـ) بمدينة ذِمَار ، ودفن بها . ينظر : الشوكاني محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، [د .تا] ، ج2 ، ص : 331 - 333 .

(41) العلوي ، يحيى بن حمزة ، الطِّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مطبعة المقتطف ، مصر ، 1332هـ/1914م ، (3/ 391-392) .

(42) ممّن قال بهذا المعنى من الصّرفة الجاحظ(ت:255هـ)، إذ قال : " وذكرنا من صرف أوهام العرب عن محاولة معارضة القرآن ، ولم يأتوا به مضطرِبًا و لا مُلفَّقًا و لا مُستكرَهًا ". و قد أثبت الدكتور محمد أبو موسى هذا المعنى من الصّرفة للجاحظ إلاّ أنه يرى أنه لم يعتبرها وجها من وجوه إعجاز القرآن. والذي يظهر من سياق كلام الجاحظ السابق خلاف ذلك ، إذ إنّ عبارته السابقة جاءت في سياق ذكر معجزات بعض الأنبياء التي سمّاها أصول الصَّرفة ، كصرف الله بني إسرائيل عن الاهتداء إلى الطريق للخروج من الصحراء وقد كان مسلوكا فتاهوا فيها ، و حال سليمان وهو معتمد على عصاه ، وهو ميّتٌ و الجنُّ مُطيفَةٌ به وهم لا يشعرون بموته . و يرى الجاحظ أنّ هذه الصّرفة التي صرف الله بها همم العرب عن معارضة القرآن غرضها قطع ما قد ينجم منها من الشغب والتشويش على بعض ضعاف الإيمان كالأعراب و من لا تدبّر له ، ولو لم تصرف هممهم عن هذه المعارضة لما أتوا بشيء إلاّ بأدنى شبهة قد تعلق بقلوب هؤلاء الضعاف.

و ممّن قال بهذا المعنى أيضا الرّمّاني(ت:384هـ)، و يظهر ذلك من قوله: " وأمّا الصّرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة ، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أنّ القرآن معجزٌ من جهة صرف الهمم عن المعارضة ، و ذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلّت على النبوة ، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول" .

و ذكر الدكتور عمار توفيق بدوي نصًّا للإمام البيهقي (ت: 458هـ)، وآخر لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني(ت: 478هـ) صريحين في تبني هذا المعنى من الصّرفة .

ينظر: الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر ، الحيوان ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط2 ، مصر ، 1386هـ/1967م ، ت: عبد السلام هارون ، (6/268 -369) ، الرمّاني ، علي بن عيسى ، النّكت في إعجاز القرآن ، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ت: محمد خلف الله حمد ، و الدكتور محمد زغلول سلام ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1976م ، ص: 110 ، محمد محمد أبو موسى ، الإعجاز البلاغي-دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط2 ، 1418هـ/1997م ، ص: 363 ، الشّهري ، د. عبد الرحمن بن معاضة ، القول بالصّرفة في القرآن الكريم: عرض ونقد ، دار ابن الجوزي ، ط1 ، الرياض ، 1432هـ، ص: 65-688 ،

الخالدي ، محسن سميح ، الصّرفة ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد الثاني عشر ، العدد الثاني ، نابلس-فلسطين ، يونيو ، 2004م ، ص: 317، 318 ، بدوي ، عمار توفيق ، مرجع سابق ، ص: 62-63 ، سامي ، د. عطا حسن ، الصّرفة: دلالتها لدى القائلين بها و ردود المعارضين لها ، ص: 124 ، (pdf) على الموقع الإلكتروني:
https://ebook.univeyes.com/112039/pdf

(43) قال بهذا المعنى الشريف المرتضى(ت:436ه) من الشيعة المعتزلة ، وتبعه عليه تلميذه ابن سنان الخفاجي(ت:466ه) . ينظر: محمد ، أبو موسى ، مرجع سابق ، ص: 370-371 ، بدوي ، عمار توفيق ، مرجع سابق ، ص: 71 — 72 ، الشّهري ، عبد الرحمن بن معاضة ، مرجع سابق ، ص: 22 ، 74 ، 75 ، الخالدي ، محسن سميح ، الصَّرفة ، ص: 320 ،319 ، 425 ،324 .

(44) نسب أبو الحسن الأشعري (ت: 324ه) ذلك إلى النظّام(ت:221ه)، إذ قال : " وقال النظام: الآية والأعجوبة في القرآن ، ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأمّا التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أنّ الله منعهم بمنعٍ و عجزٍ أحدثه فيهم". ينظر : الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1411ه/ 1990م ، ت: محيي الدين عبد الحميد ، (1/ 296)، الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل و النِّحَل ، دار المعرفة ، بيروت ، ط3، 1414ه/1993م ، ت: أمير علي مَهنا و علي حسن فاعور ، (1/70-71)، بدوي ، عمار توفيق ، مرجع سابق ، ص: 09 ، 29 ، الخالدي ، محسن سميح ، الصّرفة ، ص: 313.

(45) ينظر: الشهري ، عبد الرحمن بن معاضة ، مرجع سابق ، ص: 17-18.

(46) ينظر تفصيل ذلك في : الخالدي ، محسن ، الصّرفة ، ص: 315-317، الشهري ، مرجع سابق ، ص: 69-70، سامي ، عطا حسن ، مرجع سابق ، ص: 122-124 ، الأطرش ، رضوان ، دراسة مقارنة لمسلكي النظّام و الجاحظ في مسألة الصّرفة ، مجلة جامعة الخليل للبحوث ، المجلد5، العدد1 ، الخليل ، فلسطين ، 2010 ، ص: 86-87 .

(47) الشهري ، مرجع سابق ، ص: 19.

(48) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب البُستي الخطابي ، العلاّمة الحافظ اللغوي . سمع من كبار العلماء والمحدثين ، من أمثال إسماعيل بن محمد الصفّار ، وأبي بكر بن داسة راوي سنن أبي داود ، وأبي العبّاس الأصم . وحدّث عنه خلق كثير منهم : أبو عبد الله الحاكم صاحب المستدرك على الصحيحين .
له تصانيف محمودة تدل على ديانته وإمامته ، أهمها " معالم السنن " شرح فيه سنن أبي داود . توفيرحمه الله ببُسْت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة . ينظر : الذهبي شمس الدين ، مصدر سابق (13/ 3- 5) .

(49) ينظر: الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد ، "بيان إعجاز القرآن " ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ت: محمد خلف الله حمد ، و الدكتور محمد زغلول سلام ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1976م ص : 22 - 23 .

(50) السيوطي ، مصدر سابق ، ص: 1879-1880.

(51) هو القاضي الأصولي أبو بكر محمد بن الطيّب البصري ثم البغدادي ، من أذكياء العالم ، سمع الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي وغيره ، وكان إماما ثقة بارعا ، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته . له مصنفات منها : " التبصرة " ، و" التمهيد " في أصول الفقه ، و كتاب " البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر و النارنجات" .
توفي الباقلاني رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثلاث و أربعمئة .
ينظر: البغدادي الخطيب ، تاريخ بغداد ، ت: د. بشار عوّاد ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1422ه / 2001م ، (3/ 364-369)، السمعاني ، الأنساب ، ت: عبد الله عمر بن عبد المحسن التركي ، دار الجنان ، بيروت

، ط1 ، 1408هـ - 1988م ، (1/265-267)، ابن الجوزي أبو الفرج ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ / 1992م ، ت : محمد عبد القادر عطا ،(15/ 96)، ابن كثير ، البداية والنهاية (15/ 548-550) ، الذهبي شمس الدين ، مصدر سابق(13/115-116) .

(52) الباقلاني ، أبو بكر بن الطيّب ، إعجاز القرآن ،ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ،[د.تا] ، ت: أحمد صقر ، ص : 30 .

(53) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، ت: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط5 ، 1423هـ / 2003م ، (1/111).

(54) العلوي ، يحيى بن حمزة ، مصدر سابق (3/394) .

(55) أي : طُرُقُه و أنواعه . ينظر : النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، الإمام ، مكتبة الصفا ، ط1 ، القاهرة ،1424هـ / 2003م ، (16/30).

(56) ينظر: النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، السعودية ، 1419هـ / 1998م ، ص:1002 ، الحديث:2473 . و قد وردت شهادة مماثلة عن صنيع القرآن هذا في نفوس العرب للوليد بن المغيرة وأخرى لجبير بن مطعم قبل أن يُسلم . ينظر روايات أخرى في ذلك: الشريف ، د. محمد موسى ، إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي و العلماء دراسة نقدية ومقارنة ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، السعودية ، [د.تا] ، ص: 115-116.

(57) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الشافعي الأديب النحوي المتوفى سنة 474هـ ، من تصانيفه : أسرار البلاغة ، دلائل الإعجاز في المعاني و البيان ، الإيجاز في مختصر الإيضاح في النحو .

ينظر: البغدادي إسماعيل باشا ، هدية العارفين أسماءَ المؤلّفين وآثار العارفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، [د ،تا] . (1/ 606)، القِفْطي جمال الدين بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط1 ، القاهرة ، 1406هـ - 1986م ، (2/188- 190).

(58) الجرجاني ، عبد القاهر ، الرسالة الشافية ، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ت: محمد خلف الله حمد ، و الدكتور محمد زغلول سلام ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1976م ، ص:148-149.

(59) الزركشي ، مصدر سابق ،(2/94).

(60) ينظر بتصرف: الشهري ، عبد الرحمن بن معاضة ، مرجع سابق ، ص: 102.

(61) ينظر: ابن عاشور ، مرجع سابق ، (1/103).

(62) هو الإمام أبو المَعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجُوَيْني ، نسبة إلى جُوَيْن ، قرية بنيسابور وُلد بها. لُقّب بإمام الحرمَيْن لمجاورته مكة أربع سنين. تفقّه على والده أبي محمد الجويني و غيره من العلماء ، و رحل إلى بغداد والحجاز ، وصنّف في علوم شتى ، ومن أشهر كتبه " البرهان " في أصول الفقه ، و " غياث الأمم" . رحل إليه طلبة العلم من الأقطار ، ومن أشهر تلامذته الإمام أبو حامد الغزالي. توفي رحمه الله سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بنيسابور ، وحزن لموته العلماء .

ينظر : ابن كثير ، مصدر سابق(16/95-97)، السمعاني ، مصدر سابق (2/129-130).

(63) علي بن محمد بن حبيب ، أحد الأئمة الثقات ، له تصانيف كثيرة في الفقه و أصوله و التفسير و الأدب ، حافظ للمذهب الشافعي ، و ولي قضاء بلدان كثيرة ، و لقب بقاضي القضاة ، . من أبرز شيوخه أبو حامد الإسفاريني. له تفسير القرآن سمّاه: " النكت" ، وكتاب : " الأحكام السلطانية" ، وغيرها من المصنفات. توفي سنة خمسين وأربعمائة. ينظر - و بتصرف : الذهبي ، شمس الدين ، مصدر سابق(13/474-475).

(64) نصار ، حسين ، مرجع سابق ، ص: 64.

(65) ينظر: بدوي ، أحمد ، مرجع سابق ، ص: 61 ، 64 . وسيأتي توثيق كلام الرافعي .
(66) الرافعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط9 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1393هـ - 1973م ، ص:146 .
(67) المرجع نفسه ، ص: 146 .
(68) أبو زهرة ، محمد ، مرجع سابق ، ص: 82 -83 .
(69) محمد محمد أبو موسى ، مرجع سابق ، ص: 372.
(70) ينظر ما سبق: المرجع نفسه ، ص: 375. وكلام ابن حزم السابق مأخوذ من كتابه: الفِصَل(12/3) .
(71) ينظر بتصرف: محمد أبو موسى ، مرجع سابق ، ص: 375.
(72) المرجع نفسه ، ص: 376-377.
(73) المرجع نفسه ، ص: 377-378.
(74) ينظر : المرجع نفسه ، ص: 378.
(75) ينظر : المرجع نفسه ، ص: 378. وقد نقل الدكتور هذا الذي ذكره عن ابن حزم من كتابه : الفِصَل (12/3) .
(76) ينظر: محمد أبو موسى ، مرجع سابق ، ص: 378-379 .
(77) المرجع نفسه ، ص: 379.
(78) ينظر: محمد أبو موسى ، مرجع سابق ، ص: 379. وقد بيّن الرّمّاني وجه الإيجاز في الآية السابقة فقال : " وقد استحسن الناس من الإيجاز قولهم: القتل أنفى للقتل ، وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز ، وذلك يظهر من أربعة أوجه : إنه أكثر في الفائدة ، وأوجز في العبارة ، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة ، وأحسن تأليفا بالحروف المتلائمة .
أمّا الكثرة في الفائدة فيه ، ففيه كل ما في قولهم : القتل أنفى للقتل ، وزيادةُ معان حسنة ، منه إبَانَةُ العدلِ لذكره القصاص ، ومنه إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة ، ومنه الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به.
وأما الإيجاز في العبارة ، فإنّ الذي هو نظير - القتل أنفى للقتل - قوله تعالى : ﴿ القصاص حياةٌ ﴾ ، والأول أربعة عشر ، والثاني عشرة أحرف .
وأما بُعده من الكُلْفةِ بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة ، فإن في قولهم : القتل أنفى للقتل تكريرًا غيرُه أبلغُ منه ، ومتى كان التكرير كذلك فهو مُقصِّرٌ في باب البلاغة عن أعلى طبقة . وأما الحسن بتأليف الحروف بتأليف المتلائمة فهو مدرَك بالحس وموجود في اللفظ . فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللاّم. فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن ، وإن كان الأول بليغا حسنا " . ينظر: الرمّاني ، علي بن عيسى ، مصدر سابق ، ص : 77-78 .
(79) محمد أبو موسى ، مرجع سابق ، ص: 379-380 .
(80) يونس: 41. و أورد الإمام عبد القاهر الجرجاني هذه اللآية مثالا على الإعجاز النظمي للقرآن ، فقال بأسلوب الحوار الذي يثير الانتباه : " وهل تشكُّ إذا فكّرتَ في قوله تعالى : ﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي و غيض الماء و قضي الأمر و استوت على الجودي وقيل بُعدًا للقوم الظالمين** ﴾ [هود : 44]، فتجلّى لك منها الإعجاز و بَهَرك الذي ترى وتسمع أنّك لم تجد ما وجدتَ من المزية الظاهرة ، والفضيلة القاهرة ، إلاّ لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وأنْ لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقتْ الأولى بالثانية ، والثالثة بالرابعة

، وهكذا إلى أن تَستَقْرِيَها إلى آخرها وأنّ الفضل تَنَاتَجَ ما بينها وحصل من مجموعها ؟" . ثمّ بدأ في تحليل المسألة نقطة نقطة ، ليكشف عن هذا الوجه من الإعجاز.

ينظر : الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، [د.تا] ، ت : محمود محمد شاكر ، ص: 45-46.

(81) ينظر بتصرف : محمد أبو موسى ، مرجع سابق ، ص: 380 .

(82) المرجع نفسه ، ص: 381 . و قد ساق المؤلف كلام ابن حزم هذا بالمعنى من كتابه: الفِصَل (11/3) .

(83) ينظر كلام ابن حزم بتمامه في المصدر نفسه(12/3) .

(84) محمد أبو موسى ، مرجع سابق ، ص: 380 .

(85) ينظر : المراكبي ، د.أسامة ، تحقيق مذهب ابن حزم في الإعجاز ، مقال على الموقع الإلكتروني(دون ترقيم الصفحات): https://vb.tafsir.net/forum

(86) صرّح بذلك الدكتور في مقدمة مقاله السابق ، و ينظر هذه الدراسة كاملة في الموقع نفسه. (87) ينظر : المراكبي ، د.أسامة ، المرجع السابق .

(88) المرجع السابق . و ينظر كلام أبو موسى السابق في كتابه : الإعجاز البلاغي ، ص: 374 .

(89) هو شيخ المعتزلة ، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، من كبار المتكلمين والفقهاء الشافعية في وقته ، ولي قضاء الرَّي ، وله تصانيف كثيرة ، أشهرها كتاب " المغني في أبواب التوحيد والعدل " يضمّ مباحث كلامية كثيرة على مذهب الاعتزال . عاش قرابة التسعين سنة ، ومات سنة خمس عشرة و أربعمائة . ينظر : الذهبي ، شمس الدين ، مصدر سابق ، (13 / 151).

(90) عبد الجبار ، القاضي أبو الحسن بن أحمد ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، ، ت: أمين الخولي ، دار الكتب ، مصر ، [دتا] ، (16/ 324) .

(91) ينظر في ذلك: بدوي ، مرجع سابق ، ص: 56- 57 ، الشهري ، عبد الرحمن بن معاضة ، مرجع سابق ، ص: 85-86.

ويوضّح الدكتور الشهري هذه المسألة ، فيقول : " للصرفة معنيان رئيسان أحدهما مردود و الآخر مقبول ، فالمردود هو الزعم بأنّ العرب لو لم تُصرف عن المعارضة لجاءت بمثل القرآن ، والمقبول هو أنّ العرب قد انصرفت عن المعارضة بعد تيقنها العجزَ عن ذلك . فيُحمل كلام المعارضين للقول بالصرفة على أنهم يعارضون المعنى المردود الذي يستلزم الطعن في بلاغة القرآن الذاتية الداخلية ... ". ينظر : المرجع نفسه ، ص: 99.

(92) يظهر ذلك جليا في صنيع الدكتور عمار بدوي ، فقد نقل أربعة أقوال لابن حزم في مواضع متفرقة من كتابه الفصل تضمنت على الترتيب عبارات: (أنّ الله منع الله من معارضته) ، (أنّ الله منع الله من مثله) ، (و منع من مماثلته) ، (لأنّ الله تعالى حال بين الناس وبين ذلك) ، دون أن يعلق عليها أو يبيّن معنى هذا المنع أو الصّرف.

(93) سبق توثيقه في الحاشية: 70 من البحث.

(94) وقد انتبه إلى هذه الملاحظة الباحث أبو محمد المصرى . ينظر : المصرى أبو محمد ، مرجع سابق ، على الموقع الإلكتروني: https://vb.tafsir.net/forum

(95) لذلك لو أنّ هؤلاء الباحثين الذين وصفوا ابن حزم بالاضطراب في وجه إعجاز القرآن ، و أنه ينفي إعجازه البلاغي — لو أنهم ذهبوا بأنّه يجمع بين القول بأنّ القرآن معجز ببلاغته ، و القول بالصّرفة ، كما سبق القول في بيان مذهب الجاحظ لكان هذا أخفّ من ذاك ، فكيف إذا كان لا يرى القول بالصّرفة أصلا؟ .

و قد وجدت من الباحثين مَن كاد يقترب إلى هذا الفرض ، ولم يصف أقوال ابن حزم بالمضطربة أو المتناقضة — وهو الباحث محمد عبد الله أبو الصَّعَيْلِيك . إذ ذكر أنّ لابن حزم رأيين في المسألة وقال في الأول منهما بعدما ساق قول ابن حزم السابق : " فأنت تراه هنا مع الجمهور في أنّ الإعجاز يكون في النظم و في الإخبار بالغيب". لكنه لمّا ذكر الرأي الآخر وهو القول بالصرفة ، جزم بأنّ ابن حزم لا يوافق مذهب الجمهور و ينفي إعجاز القرآن ببلاغته . فوافق بذلك غيره من الباحثين الذين سمّى اثنين منهم هما: الأستاذ نُعَيم الحمصي ، والدكتور صلاح الخالد. وستأتي مناقشة هذا الرأي وأدلة أصحابه في المطلب الثالث من البحث . ينظر ما سبق : ابن حزم آراؤه في علوم القرآن والتفسير ، أبو صعيليك محمد عبد الله ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2002 ، ص: 87-94 .

(96) ينظر: الشهري ، عبد االرحمن ، مرجع سابق ، ص: 100-101 .

(97) ينظر: الحاشية(2) .

(98) ينظر: ابن حزم ، مصدر سابق(87/1) ، و هذا الأثر سبق تخريجه في الحاشية:(56) .

(99) ابن حزم ، رسائل ابن حزم الأندلسي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 ، بيروت ، 1983م ، ت: د. إحسان عباس ،(جـ4/352-353).

(100) ابن حزم ، الفِصَل(12/3) .

(101) المرجع نفسه (12/3) .

(102) ،(103) ، (104) المرجع نفسه (12/3) .

(105) ينظر: الحاشية (84) .

(106) سبق توثيقه في الخاشية (68) .

(107) ينظر : ابن حزم ، الفِصَل(11/3) .

(108) ينظر في ذلك ما كتبه الدكتور محسن الخالدي في المرجع السابق (المتهمون بالصرفة) ، فقد بحث في هذه المسالة ، وذكر بعض العلماء الذين رُموا بمقولة الصّرفة وبرّأهم من ذلك بالأدلة العلمية .

(109) وقد طبعته مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ونبّهت في غلافه على هذا الخطأ. و عدّ ابن النقيب في مقدمته هذه أربعةً و عشرين قسما للمجاز في القرآن ، واعتبر القول بالصّرفة وجها صحيحا من وجوه إعجاز القرآن . ينظر : ابن النقيب ، مقدمة تفسير ان النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، [دتا] ، ص:(25-175) و (519-521) ، تحقيق: د. زكريا سعيد علي .

(110) ينظر في بيان هذه الحقيقة : أبو زيد ، بكر بن عبد الله ، ابن قيّم الجوزية: حياته ، أثاره ، موارده ، دار العاصمة ، ط2 ، الرياض ، 1423هـ ، ص:290-292. وقد وقع في هذا الخطأ الدكتور عمّار بدوي ، فقد نقل كلام ابن النقيب من كتابه ذلك يدلّ على قوله بالصّرفة ، فنسب هذا الكلام لابن القيّم ظانا أنّ الكتاب له . ينظر: بدوي ، عمار توفيق ، مرجع سابق ، ص:65.